

الحرر وحرر سـتان



تألف

أرشاك سافراستيان

ترجمة

الدكتور

أحمد الخليل



ARSHAK SAFRASTIAN

**LONDON
THE HARVILL PRESS L T D**

23 LOWER , BELGRAVE STREET

**FIRST PUBLISHED 1948
PRINTED IN THE NETHERLANDS**

تقديم

بقدر ما تتعارف الشعوب تصبح أقدر على التفاهم والتعاون، وتصبح من ثم أكثر استعداداً لبناء علاقات ودية مشتركة، وأكثر حصانة ضد قوى الشر والظلام؛ تلك القوى الحريضة دائماً على زرع الخلافات بين الأمم، وترسيخ الضغائن والأحقاد، وإشعال نيران الخصومات والحروب، بغية تحقيق أغراض قومية شوفينية أو دينية أو مذهبية.

وما أخرج شعوب شرقي المتوسط كرداً، وعرباً، وفرنساً، وتركياً، وأرمناً، وسريانياً، وكلداناً، وآشوريين، إلى أن تتعارف، فتتفاهم، فتتعاون، فتنتشر في ربوع أوطانها المحبة والسلام! وما أحوجها إلى نبذ الاتهامات وإسقاط الشكوك! لتشرع في بناء شرق متوسط مزدهر، يقوم على التفاهم والتضامن والتكامل، وليس على تشويه تاريخ الآخر وصورته، وتغييب هويته القومية والحضارية، وهضم حقوقه.

وانطلاقاً من هذه الرؤية قمت بترجمة كتاب (الكرد و كردستان) للباحث أرشاك سافراستيان. وقد نشر هذا الكتاب باللغة الانكليزية في لندن سنة (1948 م)، وترجع أهميته في اعتقادي إلى أمور ثلاثة:

- الأول : أن المؤلف من أصل أرمني، وكان مقيماً في كردستان وتركيا، وهو على علم دقيق بجغرافية شرقي المتوسط وتاريخه، كما أنه معاصر لما جرى في تركيا من أحداث في النصف الأول من القرن العشرين.
- الثاني: أن الكتاب يجمع بين القديم والجديد في عرض تاريخ الكرد، وما جرى من أحداث على أرض كردستان.

• الثالث: يتميّز الكتاب بطابع علمي وأكاديمي مرموق، ويقدم نظرة متكاملة إلى تاريخ الكرد وكرديستان، في إطار المعطيات التاريخية والموضوعية.

وقد حاولت جهدي أن أكون دقيقاً في الترجمة، ورأيت أن مهمتي لا ينبغي أن تقتصر على الترجمة الحرفية، وإنما كان من الضروري أن أقوم بتأصيل المادة المترجمة من الناحيتين التاريخية والدلالية، مع الحرص التام على الأمانة العلمية، وكتابة التعليقات والتوضيحات الضرورية لما جاء في بعض المواطن من الكتاب الأصلي.

وما كان هذا الكتاب ليرى النور لولا المساعدة القيّمة التي جاد بها عليّ الصديق الأستاذ تاج الدين الكردي في الترجمة، وهو أستاذ مختص في اللغة الإنكليزية، فله مني كل الشكر والتقدير. وأذكر بالتقدير جهود أبنائي صلاح الدين وعلاء الدين ومحمد وشيار ومصطفى، إنهم كانوا يقتطعون ساعات من أوقات راحتهم، ويساعدونني في طباعة المسودة.

وآمل أن يكون هذا الكتاب جسراً للتعارف والتواصل بين الشعبين العربي والكردي، وشمعةً تنير الطريق لأبناء بيتنا الشرق متوسطي الكبير.

والله الموفق.

الاثنين: 24 - 1 - 2005.

أحمد محمود الخليل

الفصل الأول

أحداث تاريخية

لشعب عريق

1 نستطيع أن نجابه العالم!

" تأمل هؤلاء الفرسان المندفعين! إنهم لا يعرفون الخوف ولا القهر، تأمل اندفاعهم السريع الذي لا يقاوم وهم يصعدون الجبال! رجالنا يسدّدون بنادقهم إلى الأعداء بدقة وهم يهرولون، إنهم يستطيعون أن يجاربوا وهم يتزلقون من تحت بطون جيادهم، ويطلقون النار من بين قوائمها الأمامية. بعون من الله، وبرجال كهؤلاء، نستطيع أن نجابه العالم، وما من أمة تستطيع مقاومتنا لوقت طويل ".

هذا ما افتخر به مصطفى أحمد آغا، أحد زعماء اتحاد العشائر الكردية في منطقة بۇوتان، الواقعة على المنحدرات الشمالية الشرقية لجبل

جُودي⁽¹⁾، وجبل جودي هو أحد الجبال المكّلة بالثلوج في كردستان، ويقع شمالي مدينة الموصل في العراق.

استضافني **مصطو آغا** - كما كان يدعوه رفاقه المقرّبون - في خيمته، في (آب/أغسطس 1910 م) وطلب إليّ تأجيل رحيلي ليوم آخر، كي نشهد قتالاً قُبلياً مع رجال القبائل المجاورة في شِرْناخ، كان ذلك القتال سيندلع - حسب اعتقاده - في اليوم التالي، وهكذا يستعر العداء القبلي من جديد، بعد أن كان قد هدأ بضع سنوات، فالدماء التي أريقت في الماضي لا بد أن تُغسل بدماء جديدة، وإلا تفقد القبيلة شرفها وهبتها في المنطقة.

وفي سنة (1910 م) كان العراق كله، ومن ضمنه جبل جُودي، لا يزال ينتمي إلى الإمبراطورية العثمانية، وقبل سنتين من ذلك كله كان حزب (تركيا الفتاة) قد هيمن على السلطة، ثم أطاح بالسلطان **عبد الحميد الثاني** ذي السمعة السيئة، وخلال حكمه الدموي الذي استمر ثلاثين عاماً، كان عبد الحميد يفضّل زعماء العشائر الكردية العظام، وينهال عليهم بأوسمة عسكرية خاصة.

وفي سنة (1909 م) أطيح بالسلطان **عبد الحميد الثاني**، فاستاء كثير من زعماء العشائر الكردية، وساء ظنهم بالحكومة التي أقامها حزب

1 - يقع جبل جودي في كردستان الشمالية (جنوب شرقي تركيا)، وليس في العراق كما قد يُظن، وقد جاء في القرآن كتاب المسلمين أن سفينة النبي نوح رست على قمة هذا الجبل لما هدا الطوفان، تقول الآية: (وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) [سورة هود، الآية 44] - المترجم.

(تركيا الفتاة)، وأبدوا عدم رضاهم عنها، متحصنين بمناعة الجبال، ومحاطين برجال القبائل المخلصين لهم. ولم يكن **مصطو آغا** ينظر بجديّة واحترام إلى حزب (تركيا الفتاة)، وكان يسمّي أفرادَه بالملحدّين والمفسدين، ويذكر أنهم سيحلبون الكوارث على البلاد.

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي ركبت مع **مصطو آغا**، لأشغل موقعاً في تل مطل على أحد السهول حيث ستجري المعركة، وكنا على مسافة آمنة من مكان نشوبها، وكان **مصطو آغا** مرافقاً بأخ له أصغر منه سناً، ومعه حاشية تضم عشرة من الفرسان المسلّحين جيّداً، وكان هؤلاء حراسه على الدوام، أما قائد فرسانه فكان ابنه الأكبر، الذي كان وسيم الشكل، وبارعاً في الرماية، وكان في الأربعين من عمره تقريباً، وكان فرسانه المحاربون يبلغون الأربعمئة تقريباً، وهم أقوياء، وكانوا قد وصلوا قبلنا إلى المكان، وراحوا يتدربون ويتسابقون على جيادهم، ويغنون أغاني الحرب.

ولم يظهر العدو، لقد تأخر ساعتين، وكان ذلك التأخير كافياً لأنّ ينعتهم **مصطو آغا** وأخوه بالجبن، وبأنهم يشبهون النساء. وبينما كنا في منتصف القصة التي كان يرويها لي مضيّفي، ويذكر آراءه في منافسيه، سمعنا قعقعة السلاح، وإطلاق النار من الجهة المعاكسة، وبوساطة المنظار استطعنا أن نلاحظ رجال قبائل **شرفناخ** ينحدرون من التلال، ويندفعون باتجاهنا على بعد حوالي ستة أميال، وهم يلوّحون بسيوفهم اللامعة تحت أشعة الشمس الساطعة، ويطلقون النار في الوديان، لينذروا خصومهم بالحيء، فالقانون القبلي غير المكتوب يمنع الهجوم المفاجئ في المعارك المتعلقة بالشرف القبلي.

وأرسل **مصطو آغا** أخاه إلى أرض المعركة بعد أن زوّده بالنصائح، وتمنّى النجاح لابنه الذي يقود فرسانه في المعركة، وأحنى رأسه متمتماً ببعض الابتهالات بالعربية. واندلع القتال في الحال، ولكن بسبب الغبار الكثيف والدخان اللذين أحاطا بالمتقاتلين فوراً، لم نستطع أن نشاهد إلا القليل، واستطعت فقط أن أسمع الطلقات المنبعثة من البنادق كالرعد، ووقع حوافر الجياد المهرولة بعنف، وهي تصهل بقوة، وفي أقل من ساعة خفّت طلقات البنادق، ثم توقفت تدريجياً.

ولدى عودتنا إلى المضارب شاهدت **مصطو آغا** انتصب انتصاب الزعيم في ساحة العرض على مسافة قليلة من المضارب، كان الغبار والعرق يغطي الرجال والجياد، وكانت نظرات العنف والغضب تشع من عيونهم، هؤلاء الكرد المقاتلون يجاربون بضراوة حقاً، وكان **مصطو آغا** فخوراً جداً برجال قبيلته، وشعرت أنه كان محقاً عندما قال:

" بعون الله، وبرجال كهؤلاء نستطيع أن نقهر العالم،
وليست ثمة أمة في العالم تستطيع أن تقاومنا لوقت طويل ".

2

يجب أن يرحل الروم

منذ قرابة أربعين عاماً كان لقب (رُومي) يطلق في كردستان على كل غاز أو حاكم أو شخص قادم من مناطق البوسفور وآسيا الصغرى، وبصورة عامة فإن حدود (رومي) كانت تمتد من غربي سَمْسُون Samsun خط طول سيواس - كيليكيا، وكان الأتراك والرومان والبيزنطيون كلهم يُدعون (رومي) دون تمييز يذكر.

وبالطبع فإن مصطلح (رومي) كان يحمل شعوراً بالازدراء الشديد، وكان مرادفاً في نفس الوقت للإلحاد ولكل الرذائل التي يمكن أن يتصورها المرء، وما تزال دلالات كلمة (رومي) هذه دارجة بين القبائل الكردية المعزولة التي لم تشهد أنماط الحياة الحديثة، وبدرجة أقل بين عرب الشمال والأرمن وغربي إيران، وثمة أحداث كثيرة يمكن أن توضح هذه الفكرة السارية بين القبائل الكردية القديمة، ويكفي أن نذكر واحدة منها.

إن **بشار جُتو آغا** محارب له قلب أسد الجبال، كان الزعيم الأكثر احتراماً وشهرة لاتحاد خمس من العشائر الكردية، التي يمكنها في حالات الطوارئ حشد ثلاثة آلاف فارس مسلح، وكان بشار رابضاً في معقل عائلته الواقع على حرف صخري شامخ في جبال طوروس، إنه معقل بعيد عن الدروب السالكة، ويصعب اقتحامه.

كان بشار جتو آغا معروفاً في كل أنحاء كردستان، وكان مشهوراً بشجاعته الأسطورية بين رجال القبائل في العراق وبلاد فارس، إضافة إلى أنه كان مربياً كبيراً للماشية، وفي كل عام، في أوائل الصيف، كان التجار العرب من حلب ودمشق يزورون الهضاب الباردة في كردستان وأرمينيا، ليشتروا قطعاناً كاملة من الأغنام والماعز والحياد والأبقار، وكان زعماء العشائر يكسبون دخلاً وافراً من الذهب.

غير أن بشار آغا كان يرفض دفع الضرائب للغزاة (رومي) المتطفلين؛ أي الحكومة التركية، فهو كان يدافع عن تلك المنحدرات، حيث كانت قطعانه ترعى في الوديان، بينما كان رجاله يزرعون الحبوب في الأراضي الصالحة للزراعة، والعائدة له بالوراثة.

لم يكن بشار آغا يقبل أي قانون سوى قانون قبيلته، ولهذا لم يكن يعدّ نفسه ملتزماً بضريبة الأرض أو الأغنام للغزاة (رومي) الملحدين حسب رأيه، أو أن يقدم العون لجيشهم، إنه كان نصيراً للعاجز والفقير ضد الظالم والصل، رغم أن رجاله كانوا أحياناً يهاجمون ويسلبون القوافل التي تمر ذهاباً وإياباً بين سوريا والعراق وكردستان وأرمينيا.

وبعد ثورة الأتراك الشباب (حزب تركيا الفتاة) عام (1908 م)، كما ذكرنا من قبل، بدأت الحكومة بحملة منظمة، ولاسيما ضد القبائل الكردية التي ثبت أنها كانت موالية للسلطان المخلوع عبد الحميد الثاني، والتي كانت تتمرد خلال السنوات العشرين الماضية.

وفي أقبية القضاة الأتراك في مدن مثل ديار بكر وبتليس (بدليس)، كانت هناك أكثر من مئة مذكرة استدعاء موجهة ضد بشار جتو آغا

وأولاده الأربعة، لكن السلطات كانت أعجز من أن ترسلها إليهم، ولو تجرأ ضابط أو دركي على الاقتراب من منزله ما كان ليعود حياً أبداً. لكن في أيلول عام (1908 م) نجحت السلطات في إيقاع أحد أبنائه وحفيده في المصيدة، وذلك في أحد الوديان الواقعة شمالي ديار بكر، وسجنته في إحدى زنانات المدينة.

كان بشار جتو آغا يبلغ الستين من العمر، وكان ذكياً، خفيف الحركة، مفعماً بالنشاط، مثل الصقور الجبارة في جبال طوروس، وكان غاضباً بشدة عندما سمع نبأ أسر ولده وحفيده وسجنهما بجدعة تركية دينية، فأرسل رسائل سرية إلى أصدقائه المقربين من غير الأتراك، في ديار بكر والموصل وبتليس، وكانت مقاطعته تابعة للإقليم الأخير، رغم أنها كانت أقرب إلى الإقليمين الأولين، وتوعد في رسائله بثأر أبدي، وعبر عن ازدرائه العنيف للمحتالين الغزاة (رومي).

كما تذكر بشار جتو آغا أنه خلال الحرب الكردية- التركية في الثلاثينات من القرن السابق⁽¹⁾، قام الجيش التركي المنظم على أسس حديثة بقصف معقل عائلته بالقنابل، فدمروه وقتلوا جدّه، ولم يتورعوا عن قطع أذرع الناس الأبرياء وأذاهم.

وكان ثمة طريقان عمليان للقوافل التي تنطلق من سوريا إلى الوادي الأوسط لدجلة، من مدينة ديار بكر (آمد) إلى منابع النهر العالية، ولاسيما إلى مدن مثل بتليس وسيرت، وقد استطاع بشار جتو ورجاله

1 - القرن التاسع عشر - المترجم.

أن يسيطروا بسهولة على هذين الطريقين، بين ديار بكر وبتليس، وهذا ما كانوا قد فعلوه مرات عديدة في الماضي.

وفي تلك الأيام المضطربة للثورة كانت الحكومة التركية في استانبول حريصة جداً على اختيار ضباطها الكبار، وكانت تعيّر ولاية المقاطعات باستمرار، خوفاً من أن يتحولوا إلى متمردين، ولا سيما في الأقاليم البعيدة عن العاصمة، ولذلك أُرسِل إلى بتليس، في أوائل عام (1909 م) شاب تركي، ليكون حاكماً عاماً، وكان قد درس في باريس عدة سنوات.

وبعد أن استقر الحاكم الجديد في منصبه، أُرسِل في طلب زوجته وبعض الأثاث المتزلي من إستانبول، فسافرت عن طريق البحر الأبيض المتوسط، ثم دخلت كردستان عبر سوريا، لكن رحلتها توقفت في ديار بكر نظراً لانعدام الأمن في الطرق الرئيسية، ولا شك أنه كان للزعيم بشار جتو نصيب في السلب المستمر على طرق القوافل.

وعلى أية حال سمع بشار جتو بالمأزق الذي وجدت فيه زوجته الوالي نفسها، وقرر أن ينتقم لنفسه بتوجيه أكبر إهانة يمكن تصورها إلى الغزاة (رومي)، وفي الفرصة المؤاتية أرسل أشجع رجاله إلى النقاط المجاورة لطرق القوافل الرئيسية، انتظاراً لقدم زوجة الوالي، وكان الوالي نفسه يدرك تماماً مدى الخطر الذي يهدد الطريق، فأرسل حوالي خمسة عشر ضابطاً مسلحاً، ليرافقوا قافلة زوجته من ديار بكر إلى بتليس.

وفي الأسبوع الأول من أيلول عام (1909 م) انتشرت الأخبار في الأقاليم الشرقية من تركيا بأن قطاع الطرق الكرد خطفوا سيدة (خانم) من إستانبول (زوجة الحاكم العام لبتليس)، وحملوها إلى الجبال.

وتأكد فيما بعد أنه على بعد أربعين ميلاً من شمال غربي ديار بكر، وعند عبور النهر، انقضّ رجال بشار جتو على قافلة زوجة الوالي في وضح النهار، وجردوا الضباط المرافقين من السلاح دون أن يطلقوا رصاصة واحدة، ثم أحلوا سبيلهم، وقادوا القافلة كلها، بما فيها زوجة الوالي، إلى معقلهم الجبلية.

وفي اليوم التالي لتلك الحادثة شاهدتُ الوالي وقد تغلّب عليه القلق، وانتابه الشعور بالحجل والعار، وراح يندّد بالظروف البربرية السارية في البلاد، وبالأخلاق الوحشية للناس.

وفي حربهم ضد الألبان، وفي حربين أخريين ضد العرب، لم يستطع الحكام الأتراك الجدد خوض الحرب على نطاق واسع ضد القبائل الكردية، إن جيشاً كبيراً هو وحده القادر على قهر كردستان.

ولقد أعطاني الحاكم الجديد الانطباع بأنه قلق على سلامة كراسيه المستوردة من مدينة (فيينا)⁽¹⁾، وعلى أثنائه المصنوع له خصيصاً في محل (لافونتين) في إستانبول، هذا إضافة إلى قلقه على زوجته ووصيفاتها، ولعل هؤلاء الترك المتعلمين كانوا يأملون في أن يمدنوا هذا البلد المتخلف بالمستوردات الأجنبية.

وفي الربيع التالي سنحت لي الفرصة لمقابلة زعيم العشيرة نفسه بشار جتو، وقد قال لي صديق قديم كان يحب صيد الخنازير البرية بالبنادق الإنجليزية: لا طمع للزعيم الكردي بشار جتو في نساء الروم الغزاة، ولا في الأثاث الذي كان سريع العطب في أول رجّة قوية كأنه القصب. وقال

¹ - عاصمة النمسا - المترجم.

لي ذلك الصديق أيضاً: لقد أخبرني بشار جتو، وعينه تترقان غضباً وعزماً، ويهتز جسمه انفعالاً:

" لا نريد هؤلاء الغزاة بيننا، نحن نستطيع أن نحكم أنفسنا كأجدادنا الذين عاشوا هكذا منذ أيام آدم. يجب أن يرحل الغزاة، ولن يستريح حفدي أبداً حتى يرحل الغزاة ".

وعندما توسط شيخ كبير من شيوخ المنطقة، وكان زعيماً دينياً يتمتع بمكانة رفيعة لدى زعماء العشائر الكردية، أطلق بشار جتو سراح زوجة الوالي أخيراً، وأعيدت إلى زوجها دون أن تُلمس أو يصيبها أذى، مقابل إطلاق سراح نجل وحفيد بشار جتو من السجن في ديار بكر.

وقد تم هذا طبقاً للقانون الشفوي للشرف، ذلك القانون الذي كان سائداً بين رجال الشرق القدامى، فالرجال والنساء الذين يطلبون الملاذ الآمن تحت سقفك ينعمون بثقة مقدسة ومباركة من الله، وبشار جتو، المحامي المخلص لذلك الدستور العريق، لم يكن ليتصرف بطريقة أخرى غريبة، أما الأثاث المستورد من فيينا للحاكم العام فكان محط التسلية والاستهزاء في الأقاليم المجاورة، إذ تكسر معظمه وأصبح قطعاً لدى حملة في الممرات الجبلية العالية، الأمر الذي جعل الحاكم المتنور يشعر بالأسى.

أما الزعيم الأسطوري بشار جتو فقد بقي متحصناً في معقله الجبلي، وخلال الحرب الكردية - التركية عام (1930 م)، التحق مع كل قواته بالمعركة من أجل استقلال كردستان، واستطاع أن ينهك

القوات التركية النظامية في التلال الشمالية لمدينة ديار بكر طوال أشهر عديدة، وقُتلُ غدرًا مع ثلاثة من أبنائه.

إن حياة هذا الزعيم المجهول تمامًا في العالم الخارجي أعجوبة بحد ذاتها، وهي ذات أهمية عظيمة، لقد كان شخصية أسطورية في شبابه، وكان سيد واديه، يلبي كل نداء قومي كردي، إنه أحسّ بالحاجة إلى الوحدة في شيخوخته، وألقى بنفسه قلباً وقالباً في النضال من أجل الاستقلال الوطني، وقد قتل وهو فوق الثمانين من عمره. إن الشعب الكردي يستقيظ الآن على الشعور الوطني، وهو شعور مفعم بالأمل.

الفصل الثاني

التشويه المدّس للشعب الكردي

1 الكرد رحلة إلى البدايات

لا توجد، في النصف القديم من الكرة الأرضية، سلالة بشرية ظلمت باستمرار، وأسيء فهمها كالشعب الكردي. ومنذ فجر التاريخ ربما لا يوجد شعب في العالم يسكن منطقة جغرافية محدّدة، كان ضحية النوايا السيئة على الدوام مثل الشعب الكردي. إن هذه الحقيقة يجب أن تُؤكّد في البداية، كي لا يتم تحريف المشكلة التاريخية، ولئلا تُناقش القضية الكردية كما هو الأمر في أيامنا هذه.

إن بعض أقدم الملوك القدامى للمدن السومرية، ملوك أكاد وبابل، وأمراء الإغريق العشرة آلاف وصفوا تعاملهم مع رجال الجبال هؤلاء الذين لا يقاومون ببساطة. وربما كانت المواجهة التي لقيها حكام تلك الممالك القديمة والإغريق المنسحبون⁽¹⁾ على أيدي الكرد مجاهدة أقسى مما اعتادوا عليه في ظروف مشابهة. ومع ذلك فإن تلك السجلات القديمة التي تحدّثنا عن سلوك الكرد، لا تدعم أبداً التفسير الذي أُلصق بالكرد في العصر الحديث.

ومنذ ملوك آشور الأقوياء، ومروراً بالمغول، وانتهاءً بالترك والفرس، أُلصقت بالكرد صفات لزمتهم إلى الوقت الحاضر. وفيما عدا زيارة

¹ - يقصد الكاتب عودة الإغريق العشرة آلاف بقيادة إكسنوفان من بلاد بابل إلى اليونان عبر كردستان، سنة (401ق.م) - أحمد خليل.

الأجانب لكردستان خلال القرون الثلاثة الأخيرة، أو بعض المذكرات التي تدور حول تجارب غير سعيدة لهم خلال رحلاتهم، يمكن القول باطمئنان: إن الشعب الكردي يتمتع بسمعة طيبة في الماضي والحاضر، شأنه في ذلك شأن كل الشعوب الأخرى. ولعل الخطأ الأساسي يكمن في طريقة حياة الشعب الكردي، فهي حياة لا تعرف الخضوع، كما أنهم في عداء دائم مع المتسلطين؛ سواء أكان المتسلط فاتحاً أم جاراً إمبراطورياً.

لقد اعتادت العشائر الكردية بشكل وراثي، ولقرون طويلة، أن تحكم ذاتها، وتستقل بأراضيها، وهي لا تعدّ من الخطأ في شيء أن تقاوم الحكام الأجانب بكل الوسائل المتاحة لديها، وقد حاربوا الإمبراطوريات الجبارة والغزاة العتاة بالأسلحة القديمة، مثل القوس والحربة والمقلاع، وعندما اخترعت البنادق ذات الطلقات السريعة، في العصر الحديث، لم يستطيعوا الاستفادة منها كما استفادت منها الإمبراطوريات المجاورة، ولا سيما تركيا وبلاد فارس.

وقبل الخوض في المعالم الأساسية لجغرافية كردستان من المناسب أن نلقي نظرة على البدايات التاريخية للشعب الكردي؛ أين ومتى ظهر اسمهم للمرة الأولى في تاريخ الحضارات الشرقية القديمة؟! ومن المناسب أيضاً الوقوف عند مصطلح (كرد).

تفيد الوثائق الأدبية ظهور اسم (كرد) للمرة الأولى في الكتابات التي دُوّنت باللغة البهلوية على شكل كُرد kurd أو كُردان kurdan، ويذكر أرتخشير بابكان، مؤسس الدولة الساسانية الفارسية عام (226م)، اسم ماديج Madig ملك الكردان أو الكرد من بين خصومه. ويبدو أن مدمر العرش البارثي (الفارسي) أرتخشير حوّل الاسم القديم جوتي Guti

إلى كرد kurd ، وقد اقتبس المؤرخون المسلمون العظام، أمثال الطبري والمسعودي، هذا الاسم من الساسانيين، ووصل إلى العصور الحديثة على هذا النحو (كرد- kurd).

لقد اشتق اسم كرد Kurd من أرض ومملكة جوتيوم Gutium ومن شعب جوتي Guti، وذلك بحذف حرف الراء R بعد حرف العلة u (= Guti Gurt)، وهذه قاعدة لغوية تطبق بشكل عام على كل اللغات الهندو-أوربية، وخاصة الشرقية منها، مثل الكردية والأرمنية والسنسكريتية والإغريقية. وقد أظهرت الكتابات المسمارية المدونة باللغة السومرية أن أرض جوتيوم = جوتيوم Gutium كانت واحدة من أقدم الممالك المستقلة في الشرق القديم المتمدّن، وكانت معاصرة لسومر وأكّاد وعيلام وأرمينيا.

وظهرت الكتابات المسمارية التي نشرت وفسّرت اسم أرض جوتيوم للمرة الأولى في لوحة مدونة من قبل لوغال- أني موندو Mund - Lugal -Anni ملك المدينة السومرية (أدب) Adab، والتي تحمل اليوم اسم بسمايا Bismaya في حوض الفرات بجنوبي العراق، في تلك اللوحة يذكر ذلك الملك السومري الأراضي الممتدة لجوتيوم مع أراضي سوبارتو Subartu وعيلام Elam. وإن معنى اللوحة ليس واضحاً تماماً، لكن بمقارنة محتوياتها مع معلومات أكّادية لاحقة خرج العلماء بأن الملك السومري ادعى نصراً على الممالك المذكورة، وسمح عندئذ أن يدعو نفسه (سيد الأركان الأربعة للعالم).

والحق أن تاريخ هذه المرحلة لا يمكن أن يُثبت بشكل دقيق، إذ لا تتوافر مصادر متعاقبة للمعلومات التي تؤرّخ لحكم ملك (أدب)

السومري، الذي يعتقد بأنه ينتمي إلى المملكة الثامنة بعد الطوفان، والذي حكم تسعين عاماً، وحسب التاريخ القصير الذي وضعه لاحقاً السيد سدني سميث Sidney Smith فإن تاريخ هذا الملك السومري ربما وُضع بشكل غير نهائي حوالي (2350ق.م).

وتؤكد النصوص القليلة أن مملكة جوتيوم كانت توجد في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد تقريباً، ويتطابق موقع تلك المملكة مع كردستان اليوم، وكانت لها أهمية كافية لتُصنّف من قبل الملك السومري كمملكة مستقلة مع الممالك الأكبر والأشهر (سوبارتو وعيلام).

وتظهر أرض جوتيوم بعد ذلك في مجموعات من النصوص المتكهنّة بالشؤم، وفي التواريخ السنوية والنصوص الفلكية، على أنها معادية دائماً للمدن السومرية الصغيرة المبعثرة في السهول الغربية لجنوبي العراق.

كان ملوك جوتيوم الذي احتلوا بابل، وحكموا البابليين وأراضي الآشوريين Assyria فيما بعد، مستعدين دائماً لمهاجمة المجتمعات المستقرة في غربي جبال زاغروس، مكثفين أحياناً بقوتهم فقط، ومتحالفين غالباً مع العيلاميين وبلاد توروكو Turukku وسوبارتو، أو بلدان مجاورة أخرى، والنصوص التي تعد، بسبب سميتها الدينية، من الوثائق المدوّنة الأكثر دقة في تاريخ الممالك الشرقية القديمة، غالباً ما تشير إلى غارات شعب جوتيوم على المدن الأكادية والسومرية، وتظهر المعلومات الواردة في تلك النصوص أن مملكة جوتيوم كانت تحتفظ دائماً باستقلالها في الجبال.

والتاريخ الذي يُظهر الحقيقة بوضوح هو حوالي عام (1990ق.م) ، فإن شارل غاليشارري Sharlgalisharri ملك أكّاد، وخليفة نارام

سين Naram sin يذكر حروباً خاضها ضد جوتيوم، ويفتخر بأنه أسر شارلاك Sharlak ملك جوتيوم، وليس ثمة ما يحملنا على الشك في هذا التقرير. وعلى الرغم من النجاحات الفردية، تظل الحقيقة القائمة هي أن السومريين والأكاديين والآشوريين الأقوياء في القرون اللاحقة، كانوا يشنون الحروب ضد جوتيوم، وسكان الجبال الآخرين، كوسيلة لمنع غاراتهم على السهول الأكثر خصوبة في بلاد ما بين النهرين.

وقد نوقش موقع جوتيوم من قبل كل باحث في هذا الموضوع، وجرت تلك المناقشة على ضوء المعلومات غير المترابطة التي يمكن جمعها من الوثائق، وملخص ما يورده كامبل تومسون Kampbell Thomson يحدّد جوتيوم برباعي أضلاع، محاط بالزاب الأسفل - دجلة - تلال السليمانية - نهر ديالي، وتقع عاصمتهم في مدينة كركوك أو قريباً منها، والتي كانت تسمى (أرابخا) Arrapkha في تلك الأيام، وهي على بعد حوالي ثمانين ميلاً شمالي بغداد، وتعدّ مركزاً مزدهراً لاستخراج النفط اليوم.

إن سقوط الإمبراطورية الآشورية (612-606 ق.م)، التي كانت حتى ذلك الحين تحكم جوتيوم في التلال الواقعة شرقي دجلة برخاوة، حرّر شعب جوتي من كل القيود، وفتح لهم الطريق للتوسع في كل الاتجاهات. وعندما أسر الملك سيروس Cyrus الفارسي البابليين، كان فرسان الكرد الجوتيون يقاتلون في الصفوف الأولى للجيش الفارسي عام (538 ق.م). وإن إكسنوفان Xenopan، قائد العشرة آلاف إغريقي وجد العشائر الكردية = الكاردوخية محصّنين في ممرّات جبال طوروس،

من مدينة الموصل إلى نهر كنتريتس Kentrites (بوتان-صو اليوم) الواقع في شرقي دجلة، والذي يشكل الحدود بين أرمينيا و كاردوخي⁽¹⁾.

والبيانات التي يوردها شاهد عيان مثل إكسنوفان تظهر بجلاء أنه بوجود الإمبراطورية الآشورية لم تحدث تغييرات كبيرة في التوزيع العرقي للشرق القديم، لقد رسّخ الآشوريون المواقف السياسية، بالإضافة إلى حفظ الأعراق البشرية في الشرق القديم حوالي سبعة قرون (1300-600ق.م). وغالباً ما كان ملوك آشور ينقلون سكان مدن بأكملها من الغرب إلى الشرق، والعكس بالعكس. ولكن الأقوام المعتادة على الجبال المحيطة نادراً ما كانت تخضع للنقل الإجباري إلى السهول المنخفضة.

إن هجرة شعوب كاملة من قارة إلى قارة، تلك الهجرة التي يتخذها المؤرخون التقليديون عقيدة أساسية، يبدو أنه ليس لها أساس واقعي، على الأقل فيما يتعلّق بالوحدات العرقية الحقيقية للشرق القديم. إن الكرد

1 - الملاحظ في هذا الكتاب أن الكاتب يعدّ أجزاء كبيرة من كردستان الشمالية جزءاً من أرمينيا، منطلقاً تارة من اعتبار الخالدين (أورارتو) أجداداً للأرمن، ومستدلاً تارة أخرى بحدود إمبراطورية أرمينيا في عهد الملك الأرمني ديكران الثاني المعروف بديكران الكبير. على أن المحقّقين من المؤرخين يؤكّدون أن الخالدين هم من أجداد الكرد. أما مسألة أن أرمينيا كانت في عهدها الإمبراطوري تحكم أجزاء من كردستان فلا يعني مطلقاً أن تلك المناطق كانت أرمنية، ولو صحّ ذلك فينبغي أن نعدّ أرمينيا= نفسها جزءاً من بلاد فارس، لأنّها كانت تابعة للحكم الفارسي في عهود سابقة. أو أن نعدّ بلاد الشام ومصر وشمالي إفريقيا جزءاً من إيطاليا، لأن الرومان حكموها أكثر من ستة قرون قبل الإسلام- أحمد خليل.

والعرب والأرمن والآشوريين وغيرهم هم سلالات تعيش في موطنها
الأصلية كما كانت منذ عصور ما قبل التاريخ.

2 المملكة الكردية الجوتية الأولى في بابل (2300 – 2175 ق.م)

أنجبت مملكة أكاد شخصيتين عظيمتين فقط خلال حكمها الذي دام قرابة ثلاثة قرون، أحدهما كان شاروكين Sharukin الفاتح، وفيما عدا ذلك فإن الفوضى والحروب الأهلية، وخاصة في النصف الثاني من هذه الفترة، بدأت تعمّ تقريباً طوال عهد المملكة السامية التي انصبّ عليها الكثير من المديح. وقد اكتُشفت لوحة تصف الأحوال العامة، فتقول بأنه لا أحد كان يعرف من هو الملك ومن ليس ملكاً. وسيكون من المدهش جداً أن يراقب رجال جوتيوم الجيليون هذه الأحوال في الأراضي المنخفضة، ولا يزحفوا من معاقلهم الجبلية، وسيسيطروا على السهول والمدن.

وهذا ما حدث تحديداً.

إن أحد ملوك جوتيوم، ربما يدعى أمبيا Ambia، فرض سلطته على بابل بصورة غير شرعية، ودمّر مملكة أكاد، وهذا ما حدث بعد

حوالي ألف عام، عندما هبط سيروس الفارسي من مرتفعات أنزان (سوسا) بمساعدة فرسان الكرد الجوتيين، وسيطر على بابل عام (538ق.م) دون قتال.

إن السلالة الجوتية حكمت أكاد وبابل مئة وأربعاً وعشرين سنة (حوالي 2264-2137 ق.م)، وتتابع واحد وعشرون ملكاً جوتياً على الحكم خلال قرن وربع من الزمان.

وخلال تلك الفترة أعلن أحد ملوك تلك السلالة الجوتية، وهو إيرّي داپيزير Erridapizir، نفسه ملكاً للأركان الأربعة في العالم. وبالرغم من هذا الإعلان سقطت مملكة جوتيوم على يد أوتوكهيجال مؤسس المملكة الخامسة في أوروك Uruk (ورقا اليوم) ومملكها، وهي مدينة سومرية ذات شهرة كبيرة.

وقد وصف المؤلفون السومريون آنذاك حكم تلك المملكة الكردية بصفات غير لائقة، ويبدو من النقوش أنه حينما بسط الملوك الجوتيون نفوذهم على سهول بابل شرعوا يسلبون ويجرقون ويدمرون مدن سومر وأكاد المزدهرة، إنهم نهبوا كنوز المعابد، وحملوا تماثيل الآلهة والقديسين إلى عاصمتهم أرابنجا، وتعالى النواح، وأقيمت الصلوات في المعابد للتحرير من هؤلاء الحكام القساة. لقد دُمّرت مدن بأكملها، وأُخذت النساء من أزواجهن، فعمّ البكاء والأنين كل أرجاء الأرض، تنين الجبل وعدوّ الآلهة دُمّرت المدن، ونشر الرعب في كل أنحاء الأرض... الخ. ويجمع كل المؤرخين الحديثين على أن فترة الحكم الجوتي في سومر وأكاد كانت قاسية، وكان الجوتيون قساة ومدمّرين.

ومن العدل، على أية حال، أن يتساءل المرء إذا كان إطلاق هذه الأحكام على مملكة جوتيوم غير متأثر بتجارب الرحالة في القرون الثلاثة الماضية. وبفرض أن الشعب الجوتي، أو على الأقل حكامهم وزعمائهم، كانوا كذلك، فإنهم قد انسحبوا بعدئذ إلى الجبال من حيث أتوا، ليجمعوا قوتهم وينتظروا فرصاً أخرى.

هذا ولا توجد مصادر تقدم لنا المعلومات المتتابعة، وتسجل تسلسل الأحداث التاريخية، وتخبرنا عن التاريخ اللاحق لجوتيوم، ومن السذاجة الزعم بأن الشعب الجوتي لم يشن الغارات على المدن والسهول في أثناء حكم السومريين والمملكة البابلية الأولى. وتشير ألواح فلكية عديدة ونصوص دورية إلى الخطر الذي كان يهدد كلاً من أكاد وبابل. وتقول نبوءة غيبية لم تؤرخ لسوء الحظ: "أسلحة جوتيوم سوف تدمر أرض بابل". بينما تنبأ نصوص فلكية أخرى بمصير جوتيوم كما يلي: "سقوط جوتيوم سيحدث بال سلاح، أرض أكاد سوف تلتهم أراضي جوتيوم وعيلا م المعادية لثلاث سنوات".

إن هذه الفقرات المقتبسة من ألواح تعود إلى تلك الفترة تُظهر بوضوح العلاقات المتبادلة بين مملكة بابل في السهول وجوتيوم في الجبال. وقد استطاع حمورابي القانوني، خلال حكمه المزدهر الناجح الذي امتد أربعين عاماً، أن يبقي شعب جوتيوم محاصراً في الجبال. وكان ملوك هذه المملكة الأولى لبابل بناءً لعظماء للقنوات والمعابد، ولكنه قلما كانوا قادرين، كقوة عسكرية، على حماية أنفسهم من الجبلين الأقوياء حولهم.

3

الكاشيون

يحتلون بابل

بعد موت همورابي، وفي العام الثامن لحكم ابنه شامشو إيلونا، هاجم الكاشيون الجبليون بابل، ونهبوا المدن الفاخرة في السهول، وانسحبوا إلى مرتفعاتهم. والجدير بالذكر أن هؤلاء ليسوا شعب جوتيوم، بل هم شعب جديد يدعى كاسيت **Kassites**، لقد بدأوا غزو بابل، وكانوا قبيلة كبيرة أو اتحاد قبائل، وكانوا يقيمون في جبال زاغروس شرقي بابل، وربما في شمالي أرض عيلام مباشرة.

وتختلف آراء الباحثين فيما يتعلق بهويتهم، ويبدو أنهم كانوا من الشعوب الجبلية ذاتها، كالقبايل الكردية في لورستان بجنوب شرقي بلاد فارس، في سلسلة زاغروس. أما اسمهم (كاشو) الوارد في الكتابة المسمارية فرمما يكون باقياً في اسم إقليم خوزستان الفارسي، إنهم كانوا من الشعوب الهندو-أوربية جغرافياً، وهم مماثلون لشعب جوتيوم إثنولوجياً.

ودام حكم ملوك الكاشيين في بابل حوالي أربعة قرون، وتعدّ هذه المملكة الأجنبية كالبيت الملكي الثالث لبابل. وإلى حوالي ثلاثين سنة مضت كانت المعلومات المتعلقة بهذه المملكة ضئيلة وغير مفيدة، واعتُبر حكم الكاشيين في بابل بربرياً وانتكاسياً كحكم جوتيوم في سومر وأكاد، لكن اكتشافات النقوش والمواد المعدنية الفينة، في السنوات

الحديثة، عدّلت النظر إلى حكم الكاشيين، وتبيّن الآن أنه كانت لهم مدافن عظمائهم، وكانت لهم آلهتهم التي تحمل أسماء مميّزة: Kashshu / و / harbe و / Suriash و / Shipak و / Khud⁽¹⁾ و / Shimaliya التي كانت سيدة الجبال المشرفة، والتي تسكن القمة، وثمة آلهة أخرى غير هذه.

وإن عدداً كبيراً من المواد البرونزية الرائعة تمثّل الشخصيات الأسطورية، والعفاريت والحيوانات والجياد، ووجدت زخارفها منقوشة في أجزاء مختلفة من لورستان، وهي تعود إلى العهد الكاشي. ولم يكن ملوك الكاشيين غافلين عن العواطف والعادات الدينية للشعب البابلي؛ إن غانداش Gandash ملك الكاشيين الأول، الذي حكم بابل حوالي (1600 ق.م)، سُمّي نفسه (ملك المقاطعات الأربع)، وإن إحدى منقوشاته باللغة البابلية تصوّر ذكرى احتفاله بذكرى استعادة معبد إنليل Enlil إله بابل، واهتم بجمع ضرائب ومستحقات معابد بابل بشكل مناسب.

وإن ملكاً كاشياً آخر، وهو أغوم الثاني Agum، سُمّي نفسه (ملك أرض جوتي)، بالإضافة إلى بلدان أخرى، وهذا يعني أن مملكة الكاشيين كانت قد أخضعت مملكة جوتيوم القديمة، وهذا ما كان يحدث مراراً خلال التاريخ الطويل للشعب الكردي؛ إن قبيلة عظيمة كانت تحكم القبائل الأخرى كلما سنحت الفرصة، وتفرض سيادتها على كل الشعب.

¹ - هذا هو الاسم (Khuda) هو نفسه الذي يطلقه الكرد على (الله)، ويعني بالكرديّة: الموجدُ نفسَه - أحمد خليل.

وخلال الفترة التالية من حكم الدولة الكاشية في بابل، أو (كاردونياش) كما دعت في الوثائق الدولية آنذاك، أقام ملوكها علاقات ودية مع القوى الإقليمية الكبرى حينذاك في مصر ومع الحثيين، وأيضاً مع الآشوريين ذوي النفوذ الصاعد في القرنين الرابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد. وكان هناك تزاوج بين الأسر الملكية في كاردونيا ومصر.

إن كاردونياش - إنليل، أحد ملوك الكاشيين، كان غالباً ما يطلب هدايا من الذهب من ملك مصر في ذلك الحين. لكن تلك الفترة من العهد الكاشي - البابلي قلما تحسب في حياة الشعب الكردي، لأن الكاشيين كانوا قد أصبحوا بابليين في نواياهم وأهدافهم.

4
بلاد آشور وكرديستان
حوالي (1360 - 606 ق.م)

كان للجوتيين والكاشيين حتى ذاك العهد علاقات مع الدول والشعوب التي قلّما كانت أقوى منهم، لذلك استطاعوا أن يؤكّدوا استقلالهم التام بشكل دوري، بل استطاعوا أن يسيطروا في الظروف المناسبة على السهول الواقعة غربي جبالهم. لكن مع ظهور الآشوريين طرأ تغيير جذري على الوضع العام، ليس في الشرق القديم فقط، بل أيضاً في

حوضي دجلة والفرات، وما كانت تلك الظروف في صالح البلدان المجاورة. ولم يكن الآشوريون أقوياء بالرجال والاقتصاد والعزائم وما إلى ذلك فقط، بل برزوا على الساحة الدولية على أهم قوة عظمى جديدة، وبقوة مادية قلما تتكافأ مع ادّعاءاتهم.

إن الجزء الذي يعدّ مركز بلاد آشور كان يقع في المثلث الصغير المكوّن من مدينة آشور القديمة، ونيوى Nineveh، وإربيل Erbil، على ضفاف دجلة الأوسط والسهل المفتوح. ولولا تمرّك السلطة بقوة بين أيدي الرهبان ذوي العزيمة لما وصلت آشور أبداً إلى هذه الكفاءة العسكرية، التي امتدت سبعة قرون تقريباً، تخللتها فواصل زمنية قصيرة وطويلة.

إن آشور أوباليت الأول Ashur – Uballit (1362 – 1327

ق.م) هو المؤسس الحقيقي للقوة الآشورية، ويبدو أنه خلّد صرخته الحربية في منحوتات اكتشفت حديثاً من قبل البعثة الإنجليزية للمتاحف. وبعد ثلاثة وثلاثين قرناً أطلق الشعب الكردي صرخة الحرب نفسها ضد الأتراك.

في حملته ضد المملكة الكردية- الكاشية يجعل آشور أوباليت الأول جنوده يصرخون:

" الآن اضغطوا بقوة على ملك الكاشيين.
ضعوا حداً لسطوته قبل أن يلقي موته المحتوم.
دمّروا قوّتهم التي منحتهم اسم الأبطال.
يا إلهي! اسحق عدونا الذي يسعى لأذانا باستمرار.

ويستمر في الشر، ويخطط يومياً لتدمير أرض جوتيوم.
إنه يشير بإصبعه: لا تبقي!
وخلف الآلهة ومساعديه،
بدأ ملك الجبهة الأمامية للجيش القتال صارخاً:
أنا آشور أوباليت، العملاق المدمر، ممزق الفيالق!
محاربو آشور متحمسون للقتال.
يواجهون الموت صارخين:
يا عشقنا! كم من الوقت يحتاجون،
ليلتقوا بالسيدة العذراء في خشوع"؟

وخلال أكثر من قرن (1362 - 1242 ق.م)، كان على خمسة
من ملوك آشور أن يشنوا حروباً، بين الفينة والآخرى، ضد الكاشيين
الذين كانوا يشكلون تهديداً دائماً لسلطتهم على دجلة، إلى أن جاء الملك
توكولتي نينورتا الأول Tukulti - Ninurta، وفي السنة التي اعتلى فيها
العرش استطاع إخضاع كل جوتيوم وبابل حتى الخليج الفارسي، وفي
معركة ضارية تمكّن هذا الملك الآشوري من هزيمة جيوش الكاشيين تماماً،
وأسر ملكهم كاشيتيليا شو الثاني. ويذكر توكولتي نينورتا الأول في بعض
منحوتاته بعض أسماء الأماكن في أرض جوتيوم وكاشو، وتلك الأسماء
تمكّنا من تحديد الموقع الأصلي للشعب الكردي بفرعيه: جوتيوم وكاشو.
يذكر ملك الآشوريين أنه تقدم على رأس جيشه إلى الجبال المتمردة
تول سينا Tul - Sina، بين مدن ساسيلا Sasila وماشخاتشاري وراء
نهر الزاب الأسفل، ومن أراضي زوكوشكي Zukushki ولارلار إلى
حدود جوتيوم ذات الامتداد الواسع. وبالرغم من الهزيمة الساحقة التي

عاناها كاشيتيليا شو الثاني فقد استمرت مملكة كاشو في وجودها المستقل لمدة قرن آخر من الزمان أو أكثر.

إن بابل التي كانت خاضعة حتى ذلك الحين للدولة الكاشية تمردت عليها، واستعادت حريتها، وفي الوقت نفسه تقريباً انفتحت مملكة عيلام أيضاً على الحياة الجديدة. وبما أن كردستان (جوتيوم وكاشو) كانت محاصرة من كل الجهات بأشور وبابل وعيلام، فإنها فقدت أهميتها، وأصبحت بالتدريج في طيّ النسيان.

وفي السنة الثالثة من حكم آشور ناتسيرابلي الثاني - Ashurnat Sirapli (881 ق.م) - ولعله أشرس ملوك الآشوريين - قام بهجوم وحشي على كردستان، متحالفاً مع معظم قبائل أراضي زاموا Zamwa في جوتيوم، وقد مال نور أداد Nur-Adad أمير داغارا Dagara إلى دفع الجزية، وحينما كانت الجزية لا تدفع فإن ملوك آشور كانوا يزأرون كالأسود، وينقضون كالحنازير البرية.

لقد زحف آشور ناتسيرابلي الثاني باتجاه الممرات الجبلية (باييت Babite)، وشرعت القبائل التي كانت بقيادة نور أداد تبني جداراً على مدخل الطريق، لمنع تقدم الملك الآشوري، ولما عجز الملك الآشوري بوضوح عن السيطرة على العقبة التي وضعت في طريقه، توجه إلى الشمال الغربي، وهاجم القبائل التي تقطن جبل جودي، فسلب ونهب، وأحرق ثمانين حصناً، ثم هاجم حصن لاربوشا العظيم، حيث دافع كيرتيارا Kirtiara أمر الحصن ببسالة رغم يأسه من النصر. وأخيراً خضعت زاموا ولولوم (Lulume) للآشوريين، واضطرت إلى دفع الجزية.

وقد شنت غزوات مماثلة على سلسلة جبال زاغروس، وتحققت انتصارات من قبل الملوك الآشوريين شالما نصر الثالث (858-828 ق.م)، وشامشي أداد الخامس (821-810 ق.م)، وتيغلات بيليسر الثالث (747-728 ق.م)، وسرجون الثالث (722-705 ق.م)، وأسر حدون (689-668 ق.م)، وآخرين، ومع ذلك ظل الشعب الكردي خلال ذلك قوياً في مواقع الحصينة، وإن جوتيوم التي باتت تذكر باسم ميديا ساهمت إسهاماً كبيراً في إسقاط وتدمير الإمبراطورية الآشورية عام (612 ق.م).

5

نهوض فارس وجوتيوم - كردستان (538 ق.م - 640 م)

في أسطوانة فخارية منقوشة سُجِّلت باللغة البابلية، يفتخر سيروس
Cyrus (قورش الثاني) مؤسس المملكة الأخمينية (538 - 529 ق.م)
بأن مردوخ إله مدينة بابل أجبر قبائل أراضي كوتو Kutu (جوتيوم
Gutium) على الخضوع تحت أقدامه.

إن هذا البيان من جانب سيروس ليس صحيحاً لسبب بسيط، هو
أن بلاد فارس، وقد ارتقت حديثاً إلى قوة سياسية من المناطق الرملية
المتاخمة للخليج الفارسي، نادراً ما امتلكت القوة الكافية لإجبار جوتيوم
الحصينة. وعلى النقيض من ذلك فإن أوغبارو Ugbaru ملك جوتيوم
الذي كان على رأس الفرسان الكردي، هو أول من دخل مدينة بابل، وبعد
ذلك بعدة أيام أسر سيروس المدينة دون قتال. ولم تكن هذه المرة الأولى
التي تحتل جوتيوم فيها بابل. وبسبب خدماته العسكرية كوفئ أوغبارو،
فتم تعيينه حاكماً على المدينة، ثم نائباً للملك عبر نهر الفرات، وملكاً
لسوريا وفلسطين.

والحق أنه لا يوجد سجل حقيقي لأي ملك من ملوك جوتيوم،
وإنما تذكر إنجازاتهم عرضاً من قبل الآخرين الذين حاولوا جاهدتهم تقليل
أهميتهم، ولو ترك أوغبارو ملك جوتيوم منحوتاً لأكد عكس ما زعم

سيروس. وهناك ذكر لملك آخر باسم أوغبارو، لعله هذا الملك نفسه أو ابنه، لعب دوراً كبيراً في نجاح داريوس العظيم.

ومع ذلك فإن أوغبارو ملك جوتيوم أدرك في حينه مدى الضرر الذي كان يسببه للشرق المتمدّن بوقوفه إلى جانب سيروس في القضاء على بابل. وكانت نهاية مملكة بابل الحديثة (558 ق.م) نقطة تحوّل كبير في تاريخ العالم على صعيدين أساسيين:

أ- بما أن الملوك المتوارثين للشرق القديم (آشور- أورارتو- أرمينيا- بابل- جوتيوم) في سدّة الحكم كانوا متيقّظين دائماً ضد كل تدخل من آسيا الصغرى والبحر المتوسط، فقد حافظوا على صفاتهم، وعلى وجهة نظرهم للشرق الحقيقي القائم على تقوى الله. ولكن عندما ظهر الفرس على الساحة السياسية، ونظراً لانعدام الخبرة، والافتقار إلى العظماء الوطنيين، والثقافة الوطنية (الأرستقراطية)، فقد سمحوا للإغريق، ولكل أشكال المغامرين الغربيين بالدخول إلى البلاد، للعمل كمرشدين ومستشارين في أمور سياسة الإمبراطورية، التي كانت شأنًا شرقياً محضاً.

إن الإمبراطورية الأخمينية كانت طوال ذلك الوقت ضعيفة ومتراخية، حتى إنّها عجزت عن تنظيم مقاومة فعّالة لتطرد الآلاف من المغامرين تحت قيادة الإسكندر الكبير، ولو كان ملك الملوك خلال السنوات (335- 325 ق.م) آشورياً أو أرمينياً أو جوتياً لما تمكن الإسكندر أبداً من عبور الفرات، ولما نجح في اكتساح البلاد، ولتراجع إلى آيجين Aegea⁽¹⁾.

¹ - لعل المقصود هو بحر إيجه- أحمد خليل.

ب — إن إدخال حب الحرية، والفكر الإغريقي، وعناصر أخرى، إلى العقول البسيطة للمجتمعات الشرقية الهادئة الآمنة، أفسد في النهاية التطور التاريخي للمنطقة، وشوّهت رموز الإغريق وأساطيرهم الصورة الحقيقية للحضارة الشرقية القديمة. وصحيح أن الأعراق الأصلية، مثل العرب والآشوريين والحثيين والأرمن، لم تتأثر، ولكن تاريخهم شوّه بصورة كلية، وثمة حكايات خيالية جداً تتضمن أحداثاً إباحية سُردت من قبل هيرودوت عن السكيث Scythians والميد وشعوب أخرى غير معروفة، لكنه لم يذكر شيئاً ذا قيمة يتعلق بالأجناس العريقة، ولا شيء يشير إلى جوتيوم.

إن هيرودوت يشير في تاريخه مراراً إلى أرض سيسيا Cissia التي تتطابق طبوغرافياً مع كاشو القديمة أرض الكاسيت Kassites، ولكنه يضع بختيين Pactyice آخرين على حدود الهندوس في الهند، ويوضح أنه كان يوجد محاربون قبليون من البختي Bokhti في جيش اكزيركيس (قورش الثاني)، الذي يقال بأنه غزا الإغريق " وكان يوجد بختيون Pactyice ذوو عباآت مصنوعة من جلد الماعز، وهم مسلّحون بأقواسهم وخنجرهم الوطنية ". وهذا البيان يوضّح أن تبعر القبائل الكردية يجب أن يكون قد بدأ مع داريوس الأكبر.

ويقدّم المؤرخون الإغريق معلومات أكثر فيما يتعلق بقبيلة شيكاك، وذكروا أنه توجد قبيلة متنقلة تدعى ساغارتيان Sagartian يتحدث أفرادها الفارسية، ولكن زيّهم هو بين الفارسي والبختي Pactyican، وقد قدموا ثمانية آلاف فارس، غير أنهم لا يعتادون حمل الأسلحة الفولاذية

أو البرونزية ما عدا الخناجر، وكانوا يحملون الوهق المطوي المصنوع من سَيْر جلدِي⁽¹⁾.

كان هؤلاء الفرسان يذهبون إلى الحرب معتمدين على تلك الآلات الحربية، وكان أسلوب القتال لدى هؤلاء الفرسان كما يلي: عند اقترابهم من العدو كانوا يقذفون الوهق المزود بالشرك في نهايته، ثم كانوا يجرون إليهم كل من يقع في الشَّرْك، رجالاً كانوا أم خيولاً، ويقضون عليهم، وكانوا يزحفون في مؤخِّرة الجيش الفارسي.

وبعد حوالي قرن ونصف ظهرت القبائل الكردية على الساحة العالمية، لكن بمجرد صدفة، وذلك خلال تقهقر إكسنوفان مع عشرة آلاف من المقاتلين الإغريق عبر كردستان إلى البحر الأسود عام (401-400 ق.م)، قادمين من بابل عبر كاردوخيا (كردستان)⁽²⁾، ويذكر إكسنوفان أن الميديين الذين سكنوا سابقاً مدينة كبيرة ثم هجروها، لا يزالون غرباء أكثر من وجود الميديين في كردستان، هو يماثل "رماة السهام السكيث الذين أطلقوا سهامهم....".

¹ - جبل في طرفه أنشودة، ويستعمل لاقتناص الخيل والأبقار - أحمد خليل.

² - إن كلمة كاردوخيا Kardukhia تتطابق مع الكلمة الأرمنية الكلاسيكية Kurdukh الإقليم الشرقي لأرمينيا - ماغنا Armenia Magna . وقد ورد في المصادر الإغريقية والرومانية مراراً أن إقليم كوردوخ كان يشمل عشرة أقاليم، من بينها كوردوخ الأعلى والأوسط والأسفل، تضم مقاطعة بوتان وبانجي.

ولا شك أنه لم يكن ثمة ميديون أو سكيث في تلك المنطقة على الأقل في ذلك الوقت، وأن هذه الجماعات العرقية وجدت فقط كأمم يمكن تصورها سلفاً، ومن ثم تداولها في الأدب الإغريقي. وفي اللحظة التي بدأ فيها العشرة آلاف تراجعهم بمحاذاة المنحدرات السفلى لجبل حَمْرين، كانوا في تماس مع قبائل الجوتيين الذين كانوا يُعدّون هنا ميديين أو سكيث.

وعلى الرغم من هذه الاعتقادات الخاطئة، فقد كان وصف إكسنوفان لعادات وتقاليد الشعب الكردي، وأساليب قتالهم، وعلاقتهم مع الأجانب، وصفاً حقيقياً، شأنه في ذلك شأن أي وصف وُجد حوالي النصف الثاني من القرن الماضي. ومن تلك الأوصاف:

- " الكوردوخي لا يكثرث عندما يناديه أحد، ولا يعطي أي انطباع عن الشعور الودّي...".

- " بعض الكردوخييين المجتمعين معاً هاجموا مؤخره الحرس الإغريقي، وقتلوا وجرحوا بعضهم بالحجارة والسهام، إنهم كانوا قلائل، وقد قضى عليهم الإغريق بعد أن أخذوهم على حين غرّة، ولو كانت أعدادهم أكبر لحاق الدمار بقسم كبير من الجنود الإغريق".

- " في الليل يشعل الكردوخيون النيران على الجبال، ويراقب بعضهم مواقع البعض الآخر".

- " ضغط الأعداء بشدة على الإغريق، إذ كانت الممرات ضيقة، وكانت تضيق أكثر فأكثر، واستعملوا الأقواس

والمقاليع⁽¹⁾. إلتقِ بنظرك على هذه الجبال، جبال كردوخيا،
سترى كم هي صعبة المعبر! الطريق الوحيد الذي تستطيع
أن تشاهده منحدر، ولدى اقترابك منه سترى حشوداً من
الرجال الذين استقروا في ذلك الممر، وباتوا يجرسونه على
الدوام".

بعد هذا النجاح ظهر الكردوخيون على واحدة من التلال الثلاثة.
وقد تعامل معهم إكسنوفان من خلال ترجمان لعقد هدنة، ودعاهم إلى
الانسحاب من الممر، فأجابوا بأنهم سيتخلّون عنه مقابل ألاّ يجرق قراهم.
وتقدّم الكردوخيون بأعداد كبيرة وبأصوات عالية، فدحرجوا الجلاميد
والصخور، وكسروا ساق واحد من رجاله، ومن الجليّ أن الكرد أظهروا
عداءً مستمراً للإغريق الذين أحرقوا قراهم، وأخذوا المئّن والأسرى
بالقوة.

وخلال فترة الحكم السلوقي في سوريا زاد تشتّت القبائل الكردية،
وما كان الحكم السلوقي ليدوم أكثر من جيل أو جيلين، شأنه في ذلك
شأن الحكم الساساني الفارسي، لولا الدعم الاختياري الذي قدّمته
شعوب مثل الشعب الكردي، ذلك الشعب المحب للقتال، والمغامر
بالوراثة، والذي كثيراً ما تطوّع في خدمة الأجانب لحماية التخوم
الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية لبلاد فارس.

¹ - المقلاع: أداة من جلد لقذف الحجارة باليد - أحمد خليل.

6

أرمينيا وبارثيا والقبائل الكردية

لا توجد سجلات وطنية لبارثيا، ولا أدب يتحدث عنهم، وما نعرفه عن تاريخهم الآن إنما هو مستمد من المصادر الإغريقية. غير أن الأدب الأرميني الكلاسيكي القديم، الذي بدأ في القرن الرابع الميلادي، يتضمن مواد كافية تفصح عن الطبيعة الطيبة لعلاقات الجوار مع القبائل الكردية بشكل عام. إن هاتين المملكتين الشرقيتين العريقتين استمدتا قوتيهما من المجتمعات الوطنية القائمة على أراض غنية بالثروات الطبيعية، لذلك حققنا طوال قرون مكتسبات عملية وحضارية.

وقد سلكت أرمينيا، على وجه الخصوص، الأسلوب العملي لاستقرار القبائل في مساكن دائمة، وقامت بتشجيعهم على حراثة الأرض، وبخلاف بقية الدول فإنها لم تبعثر القبائل الكردية في الاتجاهات الأربعة، لخدمة أهدافها الدفاعية الخاصة. إن الملك ديكران الكبير (92-55 ق.م) بنى القرى حتى للقبائل العربية على مرتفعات جبل أمانوس.

بلاد فارس الساسانية والكرد (226 - 632 م)

لقد نجح أرتخشير بن ساسان في تأسيس المملكة الفارسية الجديدة، وذلك بقتل أرتافان [أرداوان] (216-226 م) آخر ملوك بارثيا بوحشية، والقضاء على ماديغ Madig ملك اتحاد عشائر هافبان بُخْت الكردية، وأخيراً القضاء على خسرو ملك أرمينيا الذي هرب مدة عشر سنوات أثناء المد الساساني إلى حدود الهند، وكان نذيراً بسلسلة قتل المملكة الساسانية للسلالات الحاكمة، وبتآمرها ضد زعماء الشعوب المجاورة.

وهناك قليل من المدونات الغامضة لحالة القبائل الكردية تحت سيطرة هذه المملكة الفارسية. لكن المؤرخين المسلمين ونذكر منهم المسعودي والإصطخري بشكل خاص، يذكرون حوالي ثلاثاً وعشرين قبيلة كردية في الجنوب، وعدداً من القبائل الكردية في خراسان الواقعة في الشمال الشرقي من بلاد فارس.

وكان الساسانيون يتعرضون بشكل متكرر للهجوم من قبل المغول البيض White - Huns، والقبائل التركية الكثيرة الواقعة على التخوم الشمالية الشرقية لبلاد فارس، ولذا أسكن الملوك الفرس، طوعاً أو كرهاً، أعداداً كبيرة من الكرد لمقاتلة أولئك الغزاة، والدفاع عن بلاد فارس. وفي

الحقيقة مارس البيزنطيون السياسة نفسها، وقد استمرت هذه السياسة حتى الفتح الإسلامي لبلاد فارس في أعوام (632-640م)، والذي افتتح عصراً جديداً في الشرق القديم.

الفصل الثالث

الإسلام
وكرديستان
(640 - 1510 م)

1

فتح كردستان

لم يكن الشعب العربي مجهولاً لدى الشعوب القديمة التي تسكن المناطق العليا لنهري دجلة والفرات، فخلال قرون طويلة ساهمت العلاقات التجارية والثقافية والسياسية في تطوير وجهة نظر إقليمية واسعة.

ولكن عندما قدم العرب كفاتحين متحمسين للدين الجديد، انضم الكرد والآشوريون وجميع الشعوب المجاورة إلى الحاكم الفارسي ملك الملوك، لمحاربة الجيوش العربية، ولم يستطع الفرس مقاومة العرب لوقت أطول من الوقت الذي حاولوا فيه مقاومة غزو الإسكندر المقدوني، وإن المؤرخين الأرمن والعرب والسوريين والبيزنطيين الذين عاصروا تلك الأحداث، سجلوا المعارك البطولية التي خاضها الكرد ضد الزحف العربي. وطبقاً للسياسة العربية المتبعة، فإن قواد العرب الفاتحين طالبوا الناس قاطبة، باسم خليفة المسلمين، أن عليهم إما اعتناق الإسلام، وإما دفع الجزية كمصدر للدخل⁽¹⁾. وقد فرض العرب الإسلام على الفرس

¹ - والخيار الثالث هو الحرب - المترجم.

بالإكراه، لأن الفرس كانوا وثنيين يعبدون الطبيعة⁽¹⁾، لكنهم كانوا معتدلين ومتسامحين مع كل الأمم الأخرى من أهل الكتاب، وخلال حوالي سبعين سنة (640 - 710 م) تم توقيع الكثير من معاهدات السلام مع أهل الكتاب الذين كانوا بين نهر ديالبي وجبال القوقاز.

والجدير بالذكر هنا هو حقيقة أن الخلافة العباسية في بغداد لم تنجح أبداً في التغلب على القبائل الكردية القريبة من العاصمة، وعلى النقيض من ذلك ساعدت الحروب الأهلية المتكررة بين المسلمين أنفسهم على ازدياد عام لأهل الذمة في كل أنحاء المنطقة.

وقد جنّدت الخلافة العباسية أعداداً كثيرة من المماليك الترك من آسيا الوسطى ليقاتلوا في صفوفها، ومع ذلك فإن الممالك الكردية والأرمنية والجيورجية، وغيرها من الممالك التي كانت تقرّ بالسيادة الاسمية للخلافة، بدأت خروجها من الظلمة في القرن التاسع الميلادي.

إن الزعماء الكرد أكدوا ثانية سلطتهم التقليدية في كل أنحاء بلاد فارس الغربية، إن أبا علي بن مروان بن دُوستك الجارُبُختي (القبائل البُختية الأربع)⁽²⁾، سليل اتحاد العشيرتين البوتية (البُختية)، أسس مملكته

¹ - تفيد المصادر التاريخية أن الفرس، وكذلك الكرد، لم يكونوا وثنيين قبيل الإسلام، وإنما كانوا زردشتيين، وما كان زردشت وثناً، وإنما كان يدعو إلى عبادة الإله الواحد أهورا مزدا. وعُرف الفرس في المصادر الإسلامية بأنهم (مجوس)، وعمولوا في الإسلام معاملة أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، فأخذت منهم الجزية، وسمح لهم بالبقاء على الزردشتية، ولو كان المجوس وثنيين لعاملهم المسلمون معاملة المشركين - المترجم.

² - جزيرة بوتان - المترجم.

شمالى دجلة، وعاصمتها فارقين (مياً فارقين)، على مسافة يوم واحد شمالى دياربكر، وفارقين هي (تيگران كيرتا) القديمة، العاصمة الجنوبية للملك الأرمي تيجران (ديگران)⁽¹⁾ المعروف بالكبير. ولكن مروان الجاربختي لم يعط المملكة اسم عائلته جاربختي، وإنما أعطى هو وأسلافه المملكة اسم (مروانية)، إذ يبدو أن هذا الاسم كان أكثر انسجاماً مع الجو لإسلامي العام.

إن السلالة المروانية حكمت في فارقين، ودياربكر، وجزيرة ابن عمر⁽²⁾، من (985 - 1096 م)، وحكم أحد ملوكها، وهو أبو نصر أحمد، ثلاثة وخمسين سنة (1010 - 1063 م)، وقد زوّد مدنه بالأبنية الفخمة، وبالخانات والحمامات والجسور، ثم اندلعت المشاجرات بين أبناء السلالة الحاكمة طمعاً في العرش، وطلبوا المساعدة من البيزنطيين لهذه الغاية.

¹ - قضى الفرس الأشكان على الحكم السلوقي في فارس وكرديستان حوالي سنة (224 أو 226 ق.م)، وأسسوا الدولة الأشكانية، وتحالف معهم الأرمن، فاستولوا (الأرمن) على القسم الأعظم من كردستان الشمالية (شرقي تركيا حالياً)، واستمر الملك الأرمي ديگران الكبير في توسيع إمبراطوريته عبر شرقي الأناضول، ولذا أسس عاصمته الثانية (تيگران كيرتا) في كردستان الشمالية- جاء في بعض المصادر التاريخية أنها كانت قرب المكان الذي تقوم فيه مدينة ديار بكر الآن- ليكون قريباً من حدود إمبراطوريته مع الإمبراطورية الرومانية المنافسة- المترجم.

² - جاء هذا الاسم في بعض المصادر الإسلامية بصيغة (حاربختي)- المترجم.

وقد تم اكتساح المروانيين من قبل السلاجقة الجائعين، شأنهم في ذلك شأن الكثير من السلالات الحاكمة المهجينة (الكرديّة- العربية / الكرديّة- الفارسيّة) التي بسطت نفوذها بين كردستان وبحر قزوين. وبتّباع نظام الخصيان من جانب، وبالتدخل غير المناسب من جانب آخر، لم يكتف البيزنطيون بعدم مد يد المساعدة لأصدقائهم في الشرق، وإنما ساهموا في إضعاف مقاومة أولئك الأصدقاء للغزو السلجوقي.

والحق أن السكان الكرد عانوا مشقات مريعة بسبب الغزو السلجوقي، ولكن بما أن معظم الكرد رحّل، فقد جمعوا عائلاتهم وماشيتهم، وكل ما يمكن نقله، وانسحبوا إلى القلاع الجبلية الشديدة الانحدار، حيث يكون الدفاع عنها سهلاً، وكان السلاجقة القادمون من آسيا الوسطى يجمعون عن التسلل إلى الجبال العالية والممرات الجبلية الضيقة، فعبروا إلى آسيا الصغرى كأسراب الجراد، تاركين وراءهم عدداً من السلاطين المحليين الذين كانوا يدعون (أتابگة)، والذين كانوا على الأغلب خونة لشعوبهم.

والشيء الذي ثبت أنه كان أكثر شؤماً، وشكّل خطراً دائماً على النظام الاجتماعي القديم، هو وصول موجة الغزو الثانية بعد موجة المتشردين التركمان، كان هؤلاء يرتدون القمصان، وكانوا حفاة جائعين، يتقدّمون بعرباتهم التي تجرها الثيران وبعوائلهم، ليسيظروا على الوديان الباردة والمراعي الخضراء بين بحر قزوين وكردستان (1100 – 1180 م) وكان كل من البطريك السوري ميخائيل والمؤرخ المسلم ابن الأثير شاهد عيان على ذلك، وقد وصف الصراع الدموي الطويل الذي خاضه الحمّانيون العرب والبولتانيون والشكّاك والقبائل الكرديّة الأخرى ضد

المجموعات التركمانية، ولكن في غياب الوحدة والعمل الموحد، خسرت القبائل معركتها، على الرغم من استبسالها في الدفاع عن أوطانها وجبالها.

2

السلطان صلاح الدين والصليبيون (1137 - 1193 م)

يبدو أن الخطر الذي كان يهدد الوطن الكردي، خلال استيطان الجماعات التركمانية على منحدرات وفي سهول زاغروس، أثار الزعماء الكرد للعمل ضده، وأحد أعظم هؤلاء الزعماء هو يوسف صلاح الدين، الذي ولد سنة (532 هـ = 1137 / 1138 م) في قلعة تكريت بشمالي العراق، وكان والده أيوب بن شاذي حاكماً هناك⁽¹⁾.

1 - من المفيد أن نأخذ في الحسبان أن الكرد أقاموا دولتين في جهات القوقاز (قفقاسيا): الأولى هي الحكومة الروادية في أذربيجان (230 - 618 هـ)، ومعروف أن الأسرة الأيوبية تنتمي إلى القبيلة الروادية. والثانية هي الحكومة الشدادية في أَرَّان (340 - 465 هـ)، وتتوزع أَرَّان في جمهوريات أذربيجان وجورجيا وأرمينيا الحالية، ومن مدنها نَخْجوان، وتفليس، وقره باغ. ويبدو أنه كان للأسرة الأيوبية موقع هام في الدولة الشدادية، وعندما قضى السلاجقة على تلك الدولة اضطر شاذي (شاذي) جد الأيوبيين إلى الهجرة جنوباً نحو كردستان الجنوبية، ومعه ولداه أيوب وشيركوه، فساعده صديقه القديم مجاهد الدين بَهْرُوز - وكان قائد شرطة بغداد - على تعيينه دزداراً (قائداً للشرطة) في قلعة تكريت بشمالي العراق - المترجم.

أما أيوب نفسه فكان من قلعة دُوين Duwin في أرمينيا، على نهر أراكس Araxes، وفي ريعان شبابه دخل في خدمة محمود زنكي الحاكم العسكري للموصل، وعُيّن أخيراً حاكماً على مدينة بعلبك (في لبنان)⁽¹⁾.

وقد تثقف صلاح الدين في هذه المدينة السورية، واستدعي فيما بعد من قبل الخليفة الفاطمي في القاهرة ليلتحق بجيشه، وفي عام (1171 م) سيطر صلاح الدين بشكل كامل على الخلافة الفاطمية في القاهرة، وأسس الحكم الأيوبي، نسبة إلى اسم أبيه (أيوب)، وقد حقق ذلك وفق خطة متكاملة، وفي خضم ظروف مواتية له⁽²⁾.

1 - بعد وفاة شاذي تولى ولده الأكبر نجم الدين أيوب منصبه، وفي سنة (526 هـ) أنقذ أيوب عماد الدين زنكي وجنده من الهلاك، حينما خسر هذا الأخير معركة له ضد الحكم في بغداد، وانسحب إلى مقره في الموصل، وبعد اختلاف أيوب مع السلطة في بغداد دار الخلافة سنة (532 هـ) لأسباب عديدة، توجه بصحبة أخيه شيركوه إلى عماد الدين في الموصل، وليس محمود كما ذكر الكاتب، فرحب بهما عماد الدين، وعيّن أيوب والياً على بعلبك، وأسند إلى شيركوه منصباً قيادياً كبيراً في الجيش الزنكي - المترجم.

2 - كانت الخلافة الفاطمية في مصر قد ضعفت، وأصبحت فريسة الصراع بين الوزيرين المتنافسين شاور وضرغام من ناحية، وهدفاً لأطماع الفرنج من ناحية أخرى، فاستغاث الخليفة الفاطمي الأخير العاضد بالسلطان نور الدين زنكي، فكلف هذا الأخير كبير قواده أسد الدين شيركوه بقيادة حملة عسكرية إلى مصر سنة (559 هـ/1164 م)، وأتبعها بحملة ثانية سنة (562 هـ/1166-1167 م)، وبحملة ثالثة سنة (564 هـ/1168 م)، وتوفي شيركوه خلال الحملة الثالثة، فعين الخليفة العاضد صلاح الدين

واستطاع هذا الكردي العظيم توحيد سورية والعراق تحت حكمه، وأخضع الحكام الزنكيين في حلب والموصل وديار بكر، وأعداداً كبيرة من السلاجقة الآخرين، إلى جانب الأمراء العرب والكرد، من الجزيرة العربية إلى نهر دجلة، بل واعترف السلطان السلجوقي في قونيه بسيادته، واستطاع أن يقلل تارة ويزيل تارة أخرى معظم الممالك اللاتينية [الصليبية]⁽¹⁾ التي كانت قائمة في فلسطين (والقدس خاصة)، وعلى امتداد الساحل السوري.

وتوقع صلاح الدين أن يهبط حكام أوروبا إلى الثأر، فدعا الشرق بأكمله لمحاربة الفرنجة، إنه استنفر القبائل الكردية في كوتيوم وبوتان، وكذلك الإيزديين في جبل سنجار، وأعداداً كبيرة من العرب والآشوريين والأرمن والجورجيين، وقد لبى هؤلاء دعوته.

وكان أباطرة غربي أوروبا وملوكها قد شنوا الحملة الصليبية الثالثة لإنقاذ الأماكن المسيحية المقدسة من يدي صلاح الدين، واستطاعت الجيوش الصليبية الغفيرة العدد من الفرنج والألمان والإنجليز وأوروبا الشرقية

وزيراً بدلاً من عمه. ومع وفاة العاضد سنة (567 هـ/1171 م) أعلن صلاح الدين انتهاء الخلافة الفاطمية، وكان ذلك بإلحاح من الخليفة العباسي في بغداد، وبضغط من نور الدين، وبعد وفاة نور الدين سنة (569 هـ/1174 م) سيطر صلاح الدين على مقاليد الأمور، وأسس الدولة الأيوبية- المترجم.

¹ - الحروب الصليبية، والصليبيون مصطلحان حديثان، وقد سمي المؤرخون المسلمون القدماء الأوربيين القادمين لغزو شرقي المتوسط باسم (الفرنجة/الإفرنج)- المترجم.

إحراز نجاح محدود، على الرغم من أبتهاها وروعتهها، وأول شيء فعلوه ه القيام بأعمال السلب والنهب في ممتلكات إخوانهم المسيحيين في الإمبراطورية البيزنطية.

وقد غرق الإمبراطور الألماني فردريك بارباروسا، القائد العام للحملة الصليبية الثالثة، في أحد أنهار كيليكيا بينما كان يستحم، فتشتت معظم أتباعه، في حين كان الملكان ريتشارد قلب الأسد (ملك انكلترا)، والملك فيليب أوغست (ملك فرنسا) مشلولين لعدم ثقة أحدهما بالآخر، وبعد أن احتلوا مدناً ساحلية قليلة في سوريا انسحبوا، لكن بعد أن عانوا الكثير وتعلما القليل.

وبالرغم من أن صلاح الدين توفي سنة (1193 م) مع بدء الحملة الصليبية الرابعة، فقد بقيت شخصيته البطولية العظيمة متميزة عند الصليبيين وفي الشرق. وقد علمنا من المؤرخين العرب (المسلمين) أن درباس⁽¹⁾ الزعيم الكردي القبلي هو الذي أسر ملك الفرنج، وأن إيزديي مهران في جبل سنجان أسروا عدداً من قواد الفرنجة.

وفي حياته عيّن السلطان الكردي صلاح الدين إخوانه وأقاربه على العروش في سوريا والموصل وأرمينيا، ولو أنه اتخذ تدابير في أوج سلطته لدعم السلطة الكردية في زاغروس، كقاعدة له، وفي أذربيجان وأرمينيا وطوروس، لكان قدّم خدمة أبدية، ليس فقط للشعب الكردي، وإنما لكل المنطقة على وجه العموم.

¹ - إن درباس هو نفسه من المهرانيين الإيزديين - المترجم.

إن بلاد فارس كانت منهوكة القوى، وكانت بيزنطة كما هي العادة عاجزة، وكانت مملكة جورجيا، والأمراء الأرمن شمالي نهر أراكس، في طور تنامي القوة. وعندما اختار خليفة صلاح الدين الاستقرار في مصر، وسكن خلفاؤه وادي النيل، لم تبقى سلطة مركزية تحمي الشرق القديم ضد هجمات قبائل آسيا الوسطى⁽¹⁾.

¹ - للكاتب نظرات إستراتيجية ثاقبة، وهذه واحدة منها- المترجم.

3

غزوات المغول والنتار (1210 م – 1500 م)

لقد وقع حدث عرضي خلال غزوات المغول القادمين من آسيا الوسطى، وسوف يعطي هذا الحدث فكرة عن موقف الكرد من الغازي، فقد أعطى الخان الأعظم للمغول منغو خان تعليماته لأخيه الأصغر هولانغو لبيسط النفوذ المغولي على الخلافة العربية، وبلدان آسيا الغربية، وزوّده بجيش مغولي ضخم لتحقيق ذلك الهدف. وجاء في تلك التعليمات:

" استمع دائماً إلى نصائح دُقوز خاتون⁽¹⁾ وعامل كل الذين يطيعونك معاملة حسنة، واسحق كل المتمردين، ودكّ ببيان كل القلاع والحصون في طريقك... ازحف من توران إلى إيران، وعندما تنتهي من ذلك اقتل كل اللور والكرد ودمّر نفوذهم في كرده كو - Kerdeh Kuh ولمبّه سير - Lembeh - ser فهؤلاء الناس يقطعون الطرق دائماً، ويقلقون المسافرين "

إن طلائع هولانغو المتقدمة، وكانت بقيادة نايمان كُتبغا، فاجأت طائفة الحشاشين الإسماعيلية في قوهستان، وقضت عليهم؛ ثم زحف الجيش المغولي الرئيسي على همدان، وعبرت الممرات الجبلية إلى بلاد

¹ - أميرة مغولية مسيحية كانت زوجة هولانغو - المترجم.

الكرد، وفي كرمشاه أرسل هولانكو فيلقاً من الجيش بقيادة أركيانويان، لمهاجمة الحامية الكردية في أربيل، تلك القلعة التي لم يكن لها مثيل.

وعندما أبدى القائد الكردي صالح أربيلي استعداداً للاستسلام عارضه جنوده، وعندما أصرّ على ذلك أعدموه، وفي إحدى الليالي شنت الحامية الكردية غارة على التحصينات المغولية، وقتلوا أحدهم، وأحرقوا آلات الحصار، ثم عادوا بسرعة إلى قلعتهم.

وإثر هذه الكارثة التي حلت بالمغول خارت همّة أركيانويان، واضطر إلى رفع الحصار عن أربيل، ليعود في الصيف التالي فيحاصرها ثانية، إذ كان الكرد قد تركوا القلعة، ليرعوا قطعانهم في الجبال الشمالية الباردة حسب عادتهم، وعندئذ فقط استطاع المغول أن يفتحوا أربيل⁽¹⁾ ويدكّوا قلعتها انتقاماً لما حلّ بهم، والحق أن القبائل الكردية أبدت مقاومة عنيفة ضد هولانكو خان نفسه، وخاصة في بوتان وديار بكر (آمد)، ولكنهم غلبوا على أمرهم في النهاية، وتعرضوا للمجازر على أيدي المغول.

وخلال القرنين والنصف التاليين (1260 - 1502 م) انتقل حكم المغول إلى الإيلخانيين والتتري تيمورلنك (1387 - 1405 م)، وخلفائه، وكانوا على الدوام في نزاع مع الكرد الذين كانوا متضامنين مع الأرمن، وحتى مع تركمان (آق قويونلو = الخروف الأبيض) الذين استقروا في المنطقة قبل قرنين من الزمان، وفي اللحظة التي

¹ - نصحهم بذلك صديقهم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وهو أرمني الأصل من ممالك سلاطين السلاجقة، توفي سنة 657 هـ - المترجم.

كانت تهدأ في عاصفة الغزوات كان السكان الأصليون يعيدون بناء ما
دُمر، ويعيدون تشييد اقتصادهم الزراعي والصناعي في سنوات قليلة، وفي
ظل النظام الاقتصادي البسيط للعصور الوسطى، كانت المعالجة بسيطة
وسريعة.

الفصل الرابع

الفتح العثماني
والقبائل الكردية
(1514 – 1890 م)

1

النفوذ العثماني في كردستان

مع بداية القرن السادس عشر الميلادي بدأ عهد جديد في الشرق، وبعد تسعة قرون (639 - 1502 م) من القهر والتمزق رفعت بلاد فارس رأسها ثانية بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي، واستعادت سلطتها الموحدة في عاصمتها الأولى تبريز (في أذربيجان)، ثم في أصفهان. ومن ناحية أخرى تأسست الإمبراطورية العثمانية في القسطنطينية وفي أقطار البلقان، متطلعة بأنظاتها إلى الأراضي الواسعة بين نهر الفرات وإمبراطورية فارس الصفوية؛ نقصد الأراضي العربية وكردستان وأرمينيا وحيورجيا.

إن موقف هذه الشعوب كان بالغ الأهمية لكل من الشاه الفارسي والسلطان العثماني؛ أما بلاد فارس فكانت معروفة عند هذه الشعوب من خلال اتحادها غير الديني معها، وأما تركيا فكانت أكثر بعداً، وكانت شخصية حكامها بحاجة إلى أن توضع تحت التجربة.

وقد خلع السلطان سليم الأول (1512 - 1520 م) والده من الحكم، واستلم السلطة، وكان من الحكام الأتراك النشطين، وكان سنياً متشدداً مثل معظم العرب والأتراك، بينما كان الفرس شيعة، وبدأ

السلطان حكمه بإصدار أمر يقضي بالقتل الوحشي لحوالي أربعين ألفاً من المسلمين الشيعة في الإمبراطورية العثمانية.

ومن قصر قيادته في أماسيا، بتركيا الآسيوية، طلب السلطان سليم الأول من الشاه إسماعيل أن يتخلّى عن مذهبه الشيعي، ويعيد الأراضي التي كانت تعود إلى الأتراك، فما كان من الشاه إلا أن رد عليه بلهجة عنيفة غاضبة، فنشبت الحرب بينهما لمدة عامين (1514 – 1516 م). وفي سهل چالديران قرب مدينة قارص، حلّت الهزيمة بالفرس تماماً، وفرّ الشاه إسماعيل تاركاً عرشه وخزائنه للسلطان.

إن الانتصار العثماني في چالديران كان نقطة تحوّل هامة في التاريخ الحديث للقبائل الكردية، فقد اتضح للعثمانيين توزّعهم الجغرافي، والتقسيمات الفرعية، وأسماء المناطق القبلية، والزعماء.

ويعود الفضل في ذلك إلى ملا إدريس، وهو رجل دولة كردي من مدينة بتليس (بدليس)، كان سكرتير يعقوب خان، أحد مدّعي العرش الفارسي، وخلال وجوده في چالديران قدّم خدمات جليلة للسلطان سليم الأول، وقدّم له نصائح هامة في شؤون كردستان وأرمينيا، وفي عام (1515 م) أرسله السلطان سليم من أماسيا، مزوداً بوسائل الإطراء والهدايا، إلى الزعماء الكرد في گوتيوم وزاغروس، لإبعادهم عن التحالف مع الفرس، ولكسبهم إلى الجانب العثماني.

واستجاب تسعة زعماء (بگوات) كرد لطلب السلطان، وأعلنوا ولائهم للعثمانيين، أما الأربعةون قبيلة الباقية في معاقل زاغروس وطوروس فتوصّل ملا إدريس مع زعمائها إلى معاهدات باسم السلطان، فبعث لهم

السلطان جميعاً فرمانات (مراسيم) إمبراطورية، يعترف فيها بالزعماء الكرد، على أنهم (بَكلَرَبِك)، لهم سلطاتهم المبحلة وحقوقهم المتوارثة غير القابلة للتحويل، ولهم امتيازاتهم وملكياتهم لقلاعهم وحصونهم وأراضيهم بالكامل، ومُنحوا لقب الحكومات الكردية المسؤولة قانونياً فقط عن جزية سنوية اسمية، وتجنيد عدد محدد من المسلحين والخيالة أثناء الحروب.

وفضّل هؤلاء الـ(بَكلَرَبِك) الكرد التسعة أن يسموا أنفسهم (دَرَة بَگ)، وكانوا إمبراطورية ضمن إمبراطورية، وقد وضعوا تحت القيادة العسكرية العليا لـ(بَكلَرَبِك) في الأناضول، القائد العام للجيش في آسيا العثمانية.

كانت خطة ملا إدريس تهدف بصورة رئيسية إلى حماية الحدود ضد غزوات مستقبلية من قبل الفرس، وكانت الحدود بين نهري ديالي والزاب⁽¹⁾ محروسة من قبل الحكمداريات الكردية (الحكومات شبه المستقلة).

وكان ملا إدريس يدرك أن عواطف السكان الأصليين في أرمينيا الكبرى كانت منحازة إلى الفرس من الناحية التاريخية، وكى يحافظ على أمن وسلامة المواقع الإستراتيجية في وادي نهر أراكس، أغرى هو وحلفاؤه القبائل الكردية الكبيرة في دياربكر وطوروس بالهجرة إلى وان وقارص، والمناطق الأرمينية الأخرى⁽²⁾، ووعدهم بإقطاعات عسكرية

¹ - لم يحدد الكاتب أيّ الزابين، والأرجح أن المقصود هو الزاب الأسفل - المترجم.

² - واضح أن الكاتب يعدّ المناطق الشمالية من كردستان أرمينية، وهذه إشكالية قائمة بين الكرد والأرمن، ويبدو أن القوميين الأرمن ينطلقون في دعواهم هذه

وبألقاب ووظائف إدارية، وهكذا مارس الأتراك ما سبق أن مارسه الفرس لقرون عديدة، أي تشتت القبائل الكردية، لتحقيق مصالحهم العسكرية. وتوصلت القبائل الكردية إلى اتفاق مع السلطان العثماني دون أية معارضة على الإطلاق، وتم ذلك بواسطة ملا إدريس، ذلك الزعيم الكردي المثقف والموثوق به، الذي استطاع أن يقنع الزعماء القبليين، ذوي العقول الحصيفة المتزنة، بالمكاسب التي سيجنونها من تصالحهم المباشر مع الإمبراطورية العثمانية.

ويبدو أن هذا الأمل تحقق خلال قرنين، بالرغم من الحروب الطويلة المتوالية والمدمرة بين تركيا وفارس خلال الأعوام (1514 – 1516 م)، و(1534 – 1556 م)، و(1587 – 1628 م)، و(1636 – 1648 م)، و(1724 – 1732 م)، ونتيجة لذلك دُمّرت الأقاليم الحدودية جزئياً، وجُند الشباب الكرد، الذين كانوا غالباً ينخرطون بشغف في الجيوش العثمانية، ليشاركوا في حروب الترك ضد الدول الأوروبية.

من رؤية إمبراطورية تعود إلى زمن أشهر ملوكهم ديكران الثاني المشهور بلقب (الكبير)، الذي توفي حوالي سنة (54/55 ق.م)، فقد بسط هذا الملك النفوذ الأرمني على معظم مناطق كردستان الشمالية وقسم من كردستان الجنوبية في القرن الأول للميلاد، وكان هذا الملك الأرمني قد غزا البلدان المجاورة لأرمينيا، وأسس إمبراطورية تمتد من بحر قزوين غرباً إلى كبادوكيا وكيليكيا والساحل السوري بما فيه فينيقيا غرباً، ومن القفقاس (القوقاز) والبحر الأسود شمالاً إلى أربيل وسوريا الداخلية جنوباً، وبنى عاصمته الجديدة (ديكرانا كيرتا) في كردستان قرب آمد (ديار بكر) - المترجم.

ولأجيال عديدة استطاع كثيرون من الكرد، ولا سيما الذين كانوا يسكنون المعقل الجبلية التي يتعذر الوصول إليها، أن يستفيدوا من الاتفاقية الموقعة مع الدولة العثمانية، دون أن يتعرضوا لأية مسؤوليات، إنهم تمتعوا بحكمهم الذاتي السابق بشكل غير منقوص، وغالباً دون دفع الجزية أو تقديم الجنود. وكان طبعياً أن يمتنعوا عن دفع الجزية، لأنه، بغض النظر عن الجنس والدين والسلطة، فإن كل من كان يحاول أن يسيطر عليهم قادماً من الغرب كان يعدّ رومياً، ومثل هذا يجب أن يقاوم بلا هوادة. وما كانت تلك القبائل المعزولة في أودية معينة تعلم أن هؤلاء الترك كانوا قادمين في الأصل من آسيا الوسطى، بالرغم من قدمهم حديثاً من الغرب.

وكانت توجد أسباب أخرى دفعت الزعماء القبليين إلى عدم تنفيذ الاتفاقية التي وقّعوا عليها، فبلاد فارس كانت جارا قريباً للوطن الكردي، وعلى الرغم من الفوضى السياسية التي كانت سائدة فيها، كان يمكنها أن تكون عدواً مرعباً إذا استُخفّ بها كثيراً. وكانت القسطنطينية، مركز الإمبراطورية العثمانية، بعيدة جداً، ومنذ حكم سليمان القانوني (1520 - 1566 م)، كانت الإمبراطورية نفسها متورّطة بشكل معقد في أوروبا.

وفضلاً عن هذا فإن حضارة الأتراك فشلت في التأثير على الكرد، وصحيح أن الكرد كانوا أميين، ومنقطعين عملياً عن العالم الخارجي حتى الوقت الحالي، فإن الزعيم الكردي البسيط ملاحظ حاذق، ومتسائل ذكي، وهو يتميز بإدراك حاد، وبحكمة دقيقة في الشؤون المتعلقة بالكرد، ومن ثم فهو لم يفشل في ملاحظة أن الفاتحين الأتراك لا

يتملكون لغة أدبية، وأنهم لا أدب لديهم، وأنهم استعاروا من الأبيدية العربية ومن المفردات الفارسية والعربية الكثير، في حين كان الكردي نفسه يتمتع بالحكايات الملحمية لبني جنسه، وبتلك الملاحم التي توجد في الشعر العربي والفارسي على حد سواء.

ومع هذا كانت الجيوش العثمانية تحرز انتصارات مدوية في أنحاء العالم، وخلال كثير من أعوام القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت أوروبا ترتعد من وقع أقدام الجيوش العثمانية. أما بلاد فارس القريبة من الدولة العثمانية فقد استطاعت المحافظة على نفسها وخلق خطط متبدلة. غير أن الفرس أنفسهم تأثروا بالتقدم العثماني في أوروبا، وقامت البعثات الأوروبية والرحالة الأوروبيون بزيارة فارس بأعداد متزايدة، لتقديم ولائهم واحترامهم لمقام الشاه الرفيع، ولم يستطيعوا أن يقدموا له مساعدة عملية ضد الأتراك.

وعلى النقيض من ذلك كانت عدة بعثات تبشيرية أوروبية تبحث عن مساعدة فارسية، لشن حملة صليبية جديدة ضد الترك. وإن المئات من المخطوطات الأرمينية، والمذكرات الشخصية المسجلة يوماً بيوم طوال تلك القرون، تظهر التأثير العميق الذي تركه الانتصارات العثمانية في الغرب على عقول الشعوب الشرقية.

وعندما اعتلى الشاه عباس الثاني (1585 - 1628 م)، المعروف بنشاطه، عرش بلاد فارس، أعدّ محاولة جديدة في مقاومة الترك، وكان يحتاج إلى مؤازرة الشعوب المقيمة بين الخليج الفارسي والقوقاز، ولم يستطع أن يتجاهل القوة العظيمة التي كانت تتمتع بها الإمبراطورية العثمانية بفضل معونة جزء كبير من القبائل الكردية القوية، لذلك شجّع

الأمير شرف الدين بدليسي - وهو مؤرخ كردي، وسليل أسرة شرف خان الحاكم في بدليس - ليكتب باللغة الفارسية تاريخ القبائل الكردية وسلاقتهم، وكان هدفه من وراء ذلك بالطبع إثارة الحمية المتوارثة للكردي، وليذكرهم باتحادهم القديم مع الفرس والشرق، ويصرف انتباههم عن تأييد الإمبراطورية العثمانية.

لكن السرور الذي جلبته هذه الخطوة للقبائل الكردية رافقته أعمال عسكرية قاسية، رأى الشاه نفسه مجبراً على اتخاذها ضد بعض تلك القبائل، ولولا الدعم الفعّال الذي قدمته فرق الفرسان الكردية الكبيرة ما كان الشاه عباس ليتمكن من الإطاحة بالجيش الأوزبكي الذي هدّد بلاد فارس في القسم الشمالي الشرقي، قادماً من آسيا الوسطى.

ومع هذا ففي اللحظة التي أخضع فيها الشاه عباس الأوزبك انقلب إلى الكرد حلفاء الأمس، وكافأ الملك الكردي أرداوان Ardawan على ما قدّم له من خدمات ضد الأوزبك، بأن طالبه بالاعتراف بالسيادة الفارسية، واعتقله وأعدمه.

وقد نُظمت إحدى الملاحم الكردية في هذه الفترة، وموضوع الملحمة بطولي مؤثّر، إنها ملحمة قلعة (دِم دِم) Dim Dim، وتعود تلك القلعة الحصينة إلى زعيم اتحاد قبائل هارتوشي Hartoshi، الذي لم يستجب لطلب الشاه بالخضوع له، وحاصر الفرس القلعة، وظل الرجال والنساء والأطفال يحمون المتاريس، ونجحوا في صد الهجوم الفارسي، وخلال شهور بدأت المؤن بالنفاذ، وانقطعت اتصالات القلعة بالعالم الخارجي بسبب الحصار، وألقي القبض على أولئك الذين تجرّؤوا وتسلّوا متنكرين من بين الجيوش المحاصرة، ثم أعدموا.

وأخيراً رفع الفرس المتاريس من أمام جدران القلعة لبدء الهجوم الأخير، وكان الرجال والنساء داخل القلعة منهكين من الجوع والعطش، لكنهم حاربوا حتى النهاية، أما الفتيات العذارى فكن يلقين بأنفسهن في الخنادق العميقة المحيطة بالقلعة، ويقتلن أنفسهن للنجاة من العار، ودخل الغزاة القلعة بعد موت آخر مدافع، أو عندما كان عاجزاً عن الحراك.

2

كريم خان ملك كردي للفرس (1715 - 1779 م)

باستثناء ثمانية أعوام من الهدنة، ظلت الدولتان الفارسية والعثمانية تتحاربان طوال خمسين عاماً (1588 - 1638م)، وفي نهاية هذه الفترة كان كلا الجانبين منهكاً، ونتيجة لذلك تفاقم التدمر وتنامى، حتى اضطرت الدولتان إلى السلام، وبقيت الحدود كما كانت من قبل، وإن حط الحدود الممتد من التضاريس الطبيعية لجبال أرارات وزاغروس ظلت دون تغيير حتى الحرب العالمية الأولى.

وفي السنوات الثمانين التالية استتبّ السلام في الشرق، واستعادت الشعوب العريقة هناك خسائرها بسرعة، وبدأت بتعمير ما دمرته الحرب، وبما أن الأتراك فقدوا عائدات اللصوصية في آسيا وأوروبا، فإنهم كانوا يشدون الحناق على القبائل الكردية عاماً بعد عام، ولا شك أن الضغط يولّد الازدراء في نفس الشعوب ذات الذاكرة العميقة.

والرأي الذي عبّر عنه أحد زعماء الكرد عام (1675 م) في هذا الصدد جدير بالتأمل، لقد قال: " أنا وليس السلطان العثماني إمبراطور هذه الأرض، وقد يكون أقوى مني، ولكنني أنبل منه ". ولو عاش هذا

الزعيم حياة أطول لأدرك أن ما حدث بعده كان أسوأ بكثير مما عاشه هو.

وعندما تبوأ **نادر شاه** السلطة في فارس (1722 - 1747 م)، اندلعت دورة حرب جديدة وأخيرة بين الإمبراطوريتين الفارسية والعثمانية، ولكن في هذه المرة تحوّلت عواطف القسم الأكبر من القبائل الكردية باتجاه الفرس. والحقيقة أن الحكم القوي والسريع الزوال ل**نادر شاه** تبعته فوضى تامة في فارس والقوقاز والأقاليم المجاورة لتركيا، غير أن مدّعي العرش والزعماء القبليين الطموحين دفعوا بفارس مرة أخرى إلى ساحة المعركة.

وفي عام (1750 م) عيّن **مراد خان**، زعيم قبائل بختياري (باكتريا)، نفسه وصياً على عرش الإمبراطورية الفارسية، وانضم إليه كردي آخر يدعى **كريم خان زندي**، قائد لورستان، لكي يحاربا معاً الغزاة الأفغان، ولكن سرعان ما تخاصم الزعيمان على السلطة، وتغلب **كريم خان** على **مراد خان** بدعم من أرمن جولفا julfa قرب أصفهان، واعترف به الجيش وصياً على العرش طوال الحياة.

وخلال حكمه استقر **كريم خان زندي** في جنوبي فارس بعاصمته شيراز، وهي المنطقة التي نشأت فيها السلالات الأخمينية والساسانية قديماً، وبدعم من جماعته اللور المخلصين، ومن البختيار والخيالة العرب، حارب **كريم خان** منافسيه وهزمهم، وكانت النتيجة أن ساد السلام النسبي في فارس خلال عشرين عاماً.

وبعد وفاة كريم خان زندي تولّى السلطة كردي آخر هو لطف علي خان، زعيم اتحاد قبائل اللور، ولكنه لم ينجح في مكافحة سلالة قاجار Kajar، وهي قبيلة تركمانية كان مركزها في طهران، وكانت تشد قبضتها على شمالي فارس. وقد نُصب كمين للزعيم الكردي لطف علي خان، وسُلّم إلى آغا محمد خان، مؤسس السلالة القاجارية، فقتله في ديسمبر/ كانون الأول (1793 م)، بعد أن اقتلع عينيه.

وخشية من انبعاث هُضة كردية جديدة في جنوبي بلاد فارس، وفي لورستان وأراضي بختياري، عمد ملوك قاجار إلى مضايقة الأمراء والشخصيات المنحدرين من سلالة كريم خان زندي بقسوة، فأعدموا بعضهم جهراً، وقتلوا آخرين سراً، ولذلك لم تستطع القبائل الكردية في فارس أن تكون قوة سياسية حتى العصر الحديث.

3

جغرافية كردستان في العصور الحديثة

إن المصادر العثمانية الرسمية ناقصة ومتناقضة في مجال الأمور الإدارية الخاصة بالولايات. وبعد الاحتلال العثماني للتخوم الشرقية (العراق، كردستان، أرمينيا، جورجيا)، في النصف الأول من القرن السادس عشر، حدثت تغييرات كثيرة غير محددة، وفي الغالب كانت تلك التغييرات لمصلحة الحكام المحليين، ولكن منذ بداية القرن التاسع عشر كانت تلك التغييرات تأخذ طابعاً سياسياً.

والحق أن سلطة العشائر الكردية في فارس، خلال فترة كبيرة من القرن الثامن عشر، والمكاسب التي حصل عليها الكرد في تركيا، سببت قلقاً بالغاً للحكومة التركية، لذا اتخذ الباب العالي قراراً بإعادة تحديد التقسيمات الإدارية في الولايات الشرقية الشمالية المتاخمة لبلاد فارس وروسيا.

وقرر حكام المناطق الإدارية الجديدة تقليص نفوذ الباشاوات الكرد، وتحويلهم إلى مجرد حكام مقاطعات عثمانيين، فسلموا السلطة إلى ثلاث باشاوات عثمانيين في بغداد وديار بكر وأرضروم، وكان هؤلاء الباشاوات من المرتبة الأولى، ومن أصل عثماني قدر المستطاع، وكانت باشاوية بغداد تضم **كوتيوم** الموطن الأصلي للشعب الكردي، و**كاشو** القديمة أرض الكاشيين، والمرتفعات الجبلية حتى حدود فارس، وكما

كانت الحال أيام سومر وبابل، فإن القبائل العريقة هناك كان لها وجود مستقل في معاقلهم الجبلية، أحياناً جزئياً وأحياناً بصورة كلية.

إن كارستن نيبور Carsten Neabuhr، صاحب النظرة الثاقبة،

كان قد سافر إلى بغداد والموصل وديار بكر عام (1763 - 1764 م)، وسجّل أن إقليم قلعة جُولان Kala Cholan كان محكوماً من قبل أحد الباشاوات الكرد من عائلة صوران Sohran، من ائتلاف العشائر البابانية الكبيرة، وأن إقليم شَهْرزُور تقلّص كثيراً، وأن قلعة گولامبر Gulamber التي كانت فيما مضى مقراً للزعماء (دَرَه بگات) الكرد الأقوياء، تحوّلت إلى أنقاض؛ فقد دمّرها الشاه عباس الصفوي منذ أكثر من قرن مضى، وأن منصب زعيم كويسنجق في وادي نهر الزاب الأسفل لم يكن على ما يرام، رغم أن الحكام الكرد كانوا ما يزالون يمارسون سلطة اسمية في كل من أربيل وآلتون كوبري.

ويشير نيبور بغموض إلى أن هؤلاء الباشاوات الكرد، حينما كانوا مستقلين، كانوا يتلقّون مناصبهم المتوارثة من الباب العالي مباشرة، ولكن في زمنه خالف الباشاوات العثمانيون في بغداد نظام الحكم الذاتي القبلي المتفق عليه من قبل ملا إدريس بدليسي، وشرعوا يبيعون المناصب للزعماء القبليين الذين كانوا يعرضون ثمناً أعلى لشرائها، هذا إلى جانب سيطرة الحامية الانكشارية العثمانية على الطرق الرئيسية في مناطق الباشاوات الكرد، ولذلك كان على العشائر الكردية القوية فيما سبق أن تخضع الآن للجنود الأجانب في أوقات السلم.

وذكر الرحالة أديابن Adiabene أنه وجد أراضي الكرد بين نهري الزاب الأسفل والزاب الأعلى خراباً تقريباً، أما غربي الموصل في جبل سنجار فكانت المقرات الإيزدية ما تزال قوية ومحافضة على امتيازاتها من الحكم الذاتي، وأما باشاوية ديار بكر الواقعة إلى الشمال، وغربي نهر دجلة، والقبائل الكردية والإيزدية في ماردين وطور عبيد، فكانت ترفض دفع الجزية، في حين كانت ويران شهر موطن قبيلة ميران الإيزدية (تُدعى اليوم ملي Milli) ومحيطها فكانت أنقاضاً.

وأما عبر دجلة وشمالي الموصل، حيث اتحاد العمادية- زياري- دهوك- زاخو، فكانت تحافظ على ألقابها ونفوذها المتوارث في مقاطعاتها. وأما الأقوى وأكثر استقلالية فهم البدرخانيون في جزيرة ابن عمر (جزيرة بوتان).

لكن الباشاوات العثمانيين كانوا يدعمون بشكل دائم إمارة كردية ضد الأخرى، وكانوا يمارسون هذه السياسة ليس فقط بين أبناء العائلات الوراثية، أولئك الذين كانوا محوّلين في الأصل بالحكم الذاتي في مقاطعاتهم، بل أيضاً بين القبائل الرعوية الرحّالة، ولم ييال الباشاوات العثمانيون أنهم يحوّلون أقاليم السلطنة بهذه الطريقة إلى صحارى.

وكانت المجموعات الإيزدية والكردية والأرمنية في وديان طوروس الأوسط أوفر حظاً، نظراً لموقعهم الحصين. وبقيت قلعة درسيم الجبلية مستقلة وغير مهزومة حتى عام (1938 م). ومن قمة جبل طوروس المطلّة على مدينة خربوت (آلعزيز)، وبمحاذاة منحدرات غابان- مادان، وأرغنى- مادان، إلى صاصون وفارقين (ميافارقين)، بقيت القبائل غير متوزّعة إطلاقاً حتى الثلاثينيات من القرن الماضي.

أما باشاوية أرضروم (أرزن الروم) فكانت مرتبطة بولايات طرابزون وسيواس ودياربكر، وشكّلت باشاوية من الدرجة الثانية والثالثة. وقد تقلّصت الحكمديارات الكردية التي أسّسها ملا إدريس، واقتصرت على جالدير وقارص خلال الحرب الحدودية.

وعلى أية حال بدأت العلاقات الكردية تستعيد قوتها خلف الطرق العسكرية الرئيسية بعد عام (1750 م). إن حصن خلاط عاصمة شاهي أرمن (ملوك أرمينيا في القرن الثاني عشر)، وقلعة أريش، وبرگري Bergri، وتقع كلها على طول الشواطئ الشمالية لبحيرة وان، تلاشت بسبب العبور المستمر للجنود الأتراك. أما الحصن الصخري المنيع في بايزيد، والواقع على سفح جبل أرارات، فكانت تحكمه عائلة بهلول باشا التي كانت أرمنية في الأصل، وكانت نادراً ما تكثر لباشا أرضروم.

أما مدينة وان بقلعتها الشهيرة، والعاصمة القديمة للإمبراطورية الأرمنية- الأورارتية⁽¹⁾، فكان يحكمها أمراء أصليون، وغالباً ما كان يترأسها زعماء يزدي شهر، وهذه العائلة الإيزدية من الأمراء كان أصلها من هكاري الواقعة على امتداد الجبال المحاذية لأذربيجان الفارسية. وفي

¹ - ما زال الخلاف قائماً بين الباحثين الكرد والأرمن حول دولة (أورارتو)، فالأرمن يعتبرون الأورارتو (الخالديون) من أجدادهم، ويرى الكرد أن الأورارتو هم من الفروع الرئيسية التي كوّنت الشعب الكردي المعاصر، شأنهم في ذلك شأن الكوتيين والكاشيين والميتانيين والسوباريين والنايريين والميديين، ونعتقد أن البحث العلمي الأركيولوجي والإثنولوجي والإنثروبولوجي بشكل عام، إضافة إلى حسن النوايا، كفيلاً بحسم هذا الخلاف في المستقبل- المترجم.

هذه الجبال عاش الآشوريون المسيحيون أيضاً بقيادة البطريك مار شمعون، وكذلك القبائل الكردية من شكاك وهارتوشي.

وعندما زار السلطان العثماني مراد الرابع (1623 - 1640 م) هذا الإقليم أصدر فرمانات كثيرة، تعفي الأمراء الحاكمين للقلاع الأرمنية من الضرائب، وسرى مفعولها حتى العصر الحديث.

وأما المنطقة الواقعة جنوبي بحيرة وان، والوديان الجبلية لـ (مُوك) (Moxune قديماً) وشاتاخ (كردوخ العليا في أرمينيا الكبرى قديماً) فكانت تحت سيطرة عائلة عَفْدال خان التي لم تعترف أبداً بأية سيادة أخرى.

وأما غربي بحيرة وان ففي بتليس (بدليس) حكمت سلالة شرف خان اتحاد العشائر المنحدرة من العائلة الأرمنية الأرستقراطية رشتونيك Reshtunik، وكانت من الناحية الاسمية خاصة لباشاوية موش، حيث كانت سلالة علاء الدين بگ بابونتس قد حكمت كل المنطقة المروية من نهر مراد صو (الفرع الشرقي لنهر الفرات)، وكان من بين دعائم الحكم الذاتي الأساسية لباشاويات موش: دَرَه بگات الكرد، والأمراء الأرمن في صاصون وخويت Khuyt الذين لم يشاهدوا تركياً واحداً حتى العصر الحديث.

الفصل الخامس

الثورات الكردية ضد الأتراك

(1830 - 1847 م)

1

الإرهابات الأولى للمقاومة الكردية

" من المعروف حقاً أن الإمبراطورية العثمانية كانت تضم مناطق واسعة لم يكن الباب العالي يمارس فيها سلطة حقيقية، ومن المؤكد أن الباديشاه (السلطان التركي) كان عليه أن

يفتح مناطق واسعة الانتشار ضمن أراضي إمبراطوريته،
وكانت الأراضي العليا لكردستان بين دجلة والحدود
الفارسية تنتمي إلى هذا الصنف من المناطق".

هذا ما قاله عام (1838 م) فون مولتكه الضابط الألماني الذي
صاحب الحملات التركية التي شنت على الكرد آنذاك.

إن المجزرة التي دُبرت للجيش الانكشاري عام (1826 م) في
القسطنطينية، والضغط التدريجي على الحاميات التقليدية في الأقاليم
من قبل السلطات العثمانية واستبدالهم بجيش نظامي وميليشيا، كانت
تعدّ تغييرات ذات طالع سيئ للكرد، ويراد بها تهديد النظام
القديم الذي استقرت عليه الأمور، ومن ثمّ تدمير ميزاتهم العريقة.
إن هذه الإصلاحات الراديكالية الجذرية التي تبناها الباب العالي
دقّت ناقوس الخطر، وأيقظت الإقطاعية الكبيرة المنسجمة مع
الوضع الكردي كنظام للمجتمع.

وإلى جانب هذه الإصلاحات كانت الإمبراطورية العثمانية تخرج
من كارثة إلى أخرى، مثل انتصار اليونان في حربها لأجل الاستقلال عام
(1828 م)، والهزيمة المنكرة التي لحقت بالإمبراطورية العثمانية في الحرب
الروسية- التركية بين (1828 - 1829 م)، والمعاهدة الناجمة عن
ذلك (أونكيار إسكله سي)، والتي بموجبها وضعت تركيا نفسها تحت
الحماية الروسية، وأخيراً زحف الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا بن
محمد علي⁽¹⁾ في آسيا الصغرى، واقتراه من بوّابات القسطنطينية.

¹ - المقصود محمد علي باشا حاكم مصر حينذاك - المترجم.

إن هذه الأحداث أضرت من جديد الرغبة العارمة في الاستقلال عند بعض الزعماء الكرد، وإذا كان اليونانيون والمصريون الذي كانوا تابعين للباب العالي استطاعوا إلحاق الهزيمة بالجيش التركي، ويحققوا الاستقلال، فلماذا لا يؤكد الكرد وجودهم بهذه الطريقة؟!

ولا يمكن إطلاق كلمة (تمرد) على عمليات الكرد في هذه المرحلة الحاسمة، إنهم لم يكونوا يريدون دفع الضرائب للأتراك (الروم) المهزومين، وأرادوا أن يحكموا مناطقهم الموروثة طبقاً لأفكارهم، وبما أنهم كانوا محكومين بإدارات الدولة المنظمة فقد كان أبناء القبائل عملياً ودائماً في حالة تمرد، وسط الفوضى المزمنة التي كانت سائدة في كلتا الإمبراطوريتين المجاورتين⁽¹⁾.

وبعد معاهدة القسطنطينية مع روسيا سنة (1829 م) اغتتم الباب العالي وجود جيش نظامي جديد على الحدود الشرقية، فاستخدمه لقهركام الأصليين، وإحلال باشاوات من أصل تركي محلهم، وكانت ماردين من أولى المدن التي تمردت لصالح الوضع القديم، وأصبح كل ما هو أوربي منبوذاً في نظر الكرد، واعتبروا اللباس العسكري الجديد سبب المصائب كلها.

وتركزت الحملة التركية على هذه القبائل الراضية للوضع الجديد في فترتين متميزتين:

- في الفترة الأولى استمرت الحملة خلال (1834 - 1839 م)، وقد هُزم الجيش التركي في نزيب وفي ممرات

¹ - المقصود: الإمبراطوريتان العثمانية والفارسية - المترجم.

الأناضول هزيمة نكراء من قبل المصريين، بقيادة إبراهيم باشا، ونتيجة لذلك توقفت الحملة لمدة ثلاث سنوات.

● أما الفترة الثانية فامتدت بين (1842 - 1847 م)، وترافقت كلتا الفترتين بالأسلوب التركي التقليدي، من حيث ارتكاب المجازر، وتعذيب الآلاف من الكرد الأبرياء، ومن بينهم النساء والأطفال، إضافة إلى دمار وحرق مقاطعات مأهولة بالكرد على نحو كامل، ونشر بؤس لا مثيل له فيها.

لقد قاد الحملة الأولى محمد رشيد باشا، الحاكم العثماني لديار بكر، وكانت ديار بكر مركزاً لقيادة كردستان، وحشد العثمانيون فيالق كاملة من الجنود، إضافة إلى خيالة من الحراس، وفرسان، ومدفعية، لقد حشدوا كل تلك القوات للسيطرة على التمردات الكردية، ومن المؤسف أن بعض زعماء المرتزقة الكرد انضموا إلى الجيش التركي، وحاربوا شعبهم.

وانطلق محمد رشيد باشا من سيواس، وهاجم قبيلة ميران⁽¹⁾ الإيزدية في ويران شهر وجبل سنجار، واستمر الصراع سنتين، إذ أبدى الإيزديون مقاومة عنيفة، وأجبرت القبائل الكردية والتركماني على دفع ضرائب سنوية، وإمداد الجيش بالجنود.

وفي سنة (1836 م) تحول محمد رشيد باشا إلى الشرق ليهاجم القبائل المقيمة على ضفاف دجلة، حيث المركز الرئيسي لسلالة بدرخان

¹ - الأرجح هي نفسها قبيلة (مهران) الإيزدية - المترجم.

بگ الكبيرة، وقد كَبَد بدرخان بگ الجيش التركي خسائر فادحة، وانسحب إلى جبل جودي.

وفي هذه الأثناء تعزّز الجيش التركي بانضمام زعماء كرد إليها، وكانوا قد مُنحوا لقب (باشا)، فساعدوا الجيش كمرشدين وكحرس أمامي، ليحاربوا عشائرتهم وأقاربهم، وذكر شاهد عيان أن بدرخان بگ ما كان ليضطر للانسحاب إلى الجبال لو أن حليفه محمود خان بك الذي كان يزحف من الشمال مع حوالي عشرين ألفاً من الكرد والآشوريين أسرع بما فيه الكفاية في عبور نهر بوتان صو بوساطة الجسر، قبل أن يتمكن جيش تركي آخر بقيادة حافظ باشا من نسف الجسر بنيران المدفعية.

وقد حاولت قوات محمود خان أن تخوض النهر قرب تيلو Tillo- وكانت تيلو صلة الوصل بين بوتان صو ونهر دجلة الذي يصبح في الربيع أكثر غزارة وعمقاً- لكنها اصطدمت بالقوات المعادية، واندلج قتال شرس، واندفع الفرسان غير المنظمين بقيادة محمود خان تصرخ في الجنود العثمانيين المنظمين، مستعملين حراهم الطويلة وخناجرهم، ولكن في النهاية انتصر العثمانيون بفضل مدافعهم وبنادقهم.

وبعد فشل محمود خان في الوصول إلى بدرخان بگ عاد مع جنوده، وتحصّن في جبال أردوس (السلسلة الثانية جنوبي بحيرة وان)، وحدث أن مات رشيد باشا في دياربكر بالكوليرا، كما مات معظم جيشه بالمرض نفسه.

وكان **حافظ باشا** الذي عُيِّن خلفاً للقائد المتوفى شركسي الأصل، وترعرع في قصر السلطان، وبما أنه كان قوزاقياً فكان يفهم طبيعة الكرد، واستعمل كل براعته لبثّ الشقاق بين القبائل الكردية، ومنحهم الوعود ليكسبهم إلى الجانب التركي، وكان ناجحاً في إشعال نيران التنافس بين زعماء الكرد الكبار، ومن بين هؤلاء **فدي خان بگ** زعيم شيروان (شمالي بوتان صو)، والكرد **محمد باشا** الذي انضم إلى القوات العثمانية ليحارب ضد أشقائه الكرد⁽¹⁾.

1 - لقد أدرك محتلو كردستان استعداد الزعماء الكرد للتنافس والتصارع فيما بينهم، ورأوا أن خير وسيلة لإجهاض الثورات الكردية هو إثارة تلك الروح، والحق أنهم استغلوا هذه الوسيلة بمهارة، وأفلحوا من خلالها في ضرب كل محاولة تهدف إلى قيام دولة كردستان. ومن يقرأ تاريخ الكرد، منذ العهد الميدي على الأقل وإلى هذا اليوم، يتّضح له أن تخلف الكرد عن ركب الأمم يعود على الغالب إلى الصراعات القائمة بين قادة الكرد أنفسهم، وهذه الصراعات من أكبر المآسي التي ابتلي بها الشعب الكردي - المترجم.

2

ثورة أحمد باشا راوندوز (1836 م)

كان الجيش العثماني يلقي صعوبة شديدة في التصدي لبك راوندوز الإيزدي أحمد باشا، وكان مشهوراً بلقب (مير كور)؛ تلك المقاطعة الجبلية الواقعة بين نهر الزاب الكبير⁽¹⁾ والحدود الإيرانية، وكان أحمد باشا أشرس قائد متمرد في عهده الأول، وكانت سلطته تمتد من دجلة إلى أشنو Ashnu في أذربيجان الإيرانية، وكان قد ألحق بأراضيه كل القلاع الكردية في العمادية وزاخو.

وينحدر أحمد باشا من عشيرة رَوادي Rawadi، وادّعى أن أجداده يحتفظون بالسلطة منذ عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي⁽²⁾، وكان يزوّد قواته من قبائل صوران وشكاك وهارتوشي، ولهذا السبب كانت عائلته في عدااء مستحكّم مع أمراء البابان في الجنوب.

¹ - الزاب الأعلى - المترجم.

² - قبيلة رَوادي هي نفسها التي تنتمي إليها أسرة صلاح الدين، والأرجح أن اسمها الأصلي بالكردية هو (رُو آدي)، وربما يعني هذا الاسم (الشمسانيون/ أتباع العقيدة الشمسية)، والمعروف أن الكرد، مثل سائر الشعوب الآرية، كانوا من أتباع العقيدة الشمسية، وإذا صح ما ذهبنا إليه فإن اسم هذه القبيلة يكون من أعرق الأسماء الكردية في التاريخ الكردي - المترجم.

إن مير كُور لم يكن يعترف بأي شخص أعلى منه مقاماً، وفي البداية لم تستطع القوات العثمانية الرئيسية من شق طريق للوصول إليه، إنه كان يعتصم بقلعته الرابضة على قمة شاهقة، وكان هو نفسه مضرب المثل لرجاله في استعمال القوس، وبالرغم من أن عينه اليسرى كانت عمياء- ومن هنا جاء لقبه (كُور)- فإنه كان مشهوراً باستعمال القوس.

وقد أمر الباب العالي كلاً من باشا بغداد وباشا وان بإرسال الفرق النظامية والباشبوزوق المشهورين بالتوحش والشراسة، ليعصفوا بقلعة أحمد كور. وبعد انقطاع إمدادات المياه عن القلعة استسلم مير كور بشروط المعاملة الشريفة، فنُفي إلى إستانبول مع عائلته وزعماء عشيرته.

واستمر الهجوم التركي على الكرد في منحدرات ساسون- موثكان، وفي الجزء الرئيسي من الجبال العالية والأودية الضيقة لمدينة بدليس، وقد أبدت قبيلة باديكان مقاومة ضارية للعثمانيين، شأنهم في ذلك شأن المقاتلين الكرد والأرمن الذين اشتركوا في الحرب تحت قيادة حاجي زيلال آغا في ليجه Lije ونرجيكي Nerjiki.

إن هؤلاء الكرد والأرمن لم يخضعوا أبداً للباشاوات العثمانيين، ولم يدفعوا أية ضرائب للسلطان، إن رجب بگ زعيم هازو Hazo وتمر بگ زعيم هيني Haini في شمالي ديار بكر حارباً سرّ عسكر (القائد الأعلى) العثماني، لكن المدفعية التركية التي لم يعتدها الكرد دمرت قلاعهم، وأحرقت قرى بأكملها، وحوّلتها إلى رماد، واعتقل العثمانيون القواد الكرد ونفوهم.

وفي باسور Basur المقاطعة الأكثر انعزالاً في كُونِجِي Kuinji على طول نهر الفرات، حارب رجال ونساء قبائل بَكْران ورَشْكُوتان بشجاعة، دفاعاً عن الوطن والشرف. وعلى عادة أسلافه قدّم حافظ باشا المكافآت للجنود الترك الذين كانوا يجلبون له رؤوس الكرد وآذاتهم وأصابعهم، وكان الجنود العثمانيون يعذبون السجناء ويطعنونهم بالحرايب، ومن ضمنهم النساء والأطفال الذي حاربوا إلى جانب الرجال، وقد فتحت النساء الكرديات النار على الجنود الترك، ونزعت واحدة منهن أحشاء مهاجمها التركي بخنجرها.

وبعد عام من تلك المجازر، وعندما هُزم الجيش العثماني نفسه بقيادة حافظ باشا، وفُتِك به بوحشية من قِبَل المصريين بقيادة إبراهيم باشا، قال العالم المثقف الشيخ زيلان الكردي:

"إنها دماء النساء والأطفال الكرد الأبرياء الذين استغاثوا بالله للانتقام من الروم (العثمانيين)".

3

ثورة الأمير بدرخان بك في جزيرة ابن عمر⁽¹⁾

(1842 - 1847 م)

قلعة درُگُل:

في المرحلة الثانية من كفاح الكرد في سبيل الاستقلال برز بدر خان بك محارباً شجاعاً، ورجل دولة حكيماً وبعيد النظر، وقد أشرنا آنفاً إلى انتصاره على الجيش العثماني وانسحابه إلى جبل جودي.

والحق أن أكمل وصف كُتب عن بدرخان بك كان على أيدي المبشرين الأرمنيين اللذين طلبا منه أن يزوراه في درُگُل (Der gul) (بوابة الأزهار)؛ إن هذين الأرمنيين اللذين سافرا من بلاد فارس كانا ضيفي ذلك الزعيم، وكتبا في حزيران سنة (1846 م) ما يلي:

" على بعد ثمانية عشر ميلاً شرقي جزيرة ابن عمر، عبر نهر دجلة، كانت (درُگُل) موطن إقامة بدرخان بك، إنها بلدة تضم مئات قليلة من البيوت المبنية من الحجر والطين على سفح جبل جودي. كانت

¹ - اسمها بالكردية (جزيرة بوتان) - المترجم.

قلعة بدرخان واقعة بجانب القرية على حافة المنحدر، وهي تطل على جدول ماء صغير يجري إلى فناء الدار.

وثمة أشياء فريدة كانت تحدث في (دَرْ كُـل)، وتحديدًا في فناء القلعة، وكانت القلعة محاطة بحراسة من الحاربين الإيزديين وزعماء عشائر كردية أخرى، وكان بدرخان يوزع المال على مئات الأراامل والأطفال، وكان هؤلاء يرفعون أنظارهم إلى السماء، متوسّلين إلى الله أن يبارك لبدرخان في كل شيء.

إن بدرخان بگ كان يفخر بأنه رجل الكلمة الواحدة؛ أي أنه كان يفعل ما يقول، وقبل أن يسري الضعف إلى صفوفه ويقوى الأتراك، ورغم أن السلطة انتقلت من يد إلى أخرى منذ سنة (1846 م)، فإنه لم يخالف كلمته.

كانت ثروته طائلة، وامتدت سلطته من الحدود الفارسية في الشرق إلى أقصى بلاد ما بين النهرين، ومن بوابات دياربكر إلى بوابات الموصل، وذاعت شهرته، وتقريباً كان كل زعيم في كردستان الشمالية يأتي ويقدم احترامه وتقديره لبدرخان بگ، جالبين معهم الهدايا من الأموال والجياد والبغال والحاجات الثمينة الأخرى. وحتى نور الله بك في هكّاري، والذي كان يُعدّ أحياناً أعظم سلطاناً من بدرخان، وكذلك محمود خان من موکس، كانا يعتبران زيارته شرفاً كبيراً لهما.

وكان لفكرة القدر أثر كبير في تعزيز قوته، وشلّ كل سلاح يُرفع ضده. وبالرغم من أن الزعماء الروحيين الذين تحت إمرته كانوا ضجرين ونافدي الصبر من سلطته، فإنهم لم يجرؤوا على رفع إصبع المعارضة ضده، مؤمنين بأن الله هو الذي أعطاه، ومن العبث الوقوف ضد ذلك.

إن المذنب ما كان ليجد ملجأ له تحت سقف حكومة بدرخان، وقضى على الرشوة والتحيّز والمحسوبية التي غالباً ما كانت تفسد أسباب العدل في الدول. وكانت يد اللص اليمنى تُقطع حالما تثبت إدانته، وما كان أحد ليصدّق ذلك الأمن الذي بات يسود في أكثر أنحاء كردستان همجية ولصوصية وقتلاً.

إن بدرخان بگ كان يقضي وقتاً طويلاً في العبادة، وكان دقيقاً في تنفيذ عباداته الدينية، وحتى في ساعات العمل كان ينهمك في قراءة الصلوات، وهدى إلى الإسلام عدداً كبيراً من الإيزديين إما بالمناقشة وإما بالسيف .

برنامج السياسي:

أحياناً بقوة شخصيته، وأحياناً بالعنف، بسط بدرخان بگ نفوذه على معظم زعماء العشائر شمالي الموصل. والجدير بالملاحظة أنه منذ وقت طويل جداً كان هؤلاء الكرد على اتصال يومي وثيق مع المسيحيين الآشوريين والكلدان والأرمن في أقصى الشمال، ولذلك كان شعورهم القومي أكثر تطوراً، وكان وعيهم السياسي متقدماً أكثر على

الوعي السياسي للحشود الكبيرة من الشعب الكردي في كوتيوم القديمة؛ أي في سلسلة الجبال الواقعة بين نهري الزاب⁽¹⁾ وديالي، أضيف إلى هذا أن الكرد الشماليين كانوا يتألفون من العشائر التي ورثت العقيدة الإيزدية، ولم يكن ذوو الأصل المسيحي قليلين.

ويبدو أن هذه الاعتبارات كوَّنت أساس البرنامج السياسي عند بدرخان بگ، وقد عبّر عن أول إشارة إلى نواياه عندما رفض أن يستجيب لطلب الحكومة العثمانية بإرسال فرق عشائرية إلى القتال ضد الروس سنة (1828 - 1829 م). وخلافاً لذلك فإنه فعل كل ما في وسعه ليفوز على محمود خان في موكس ونور الله في هكّاري، من أجل تحقيق مشروعه المتمثل في (کردستان مستقلة).

إن سقوط القلاع الكردية واحدة تلو أخرى خلال الحملة العثمانية (1834 - 1838 م)، والممارسات الوحشية التي تعامل بها الأتراك مع النساء الكرديات وأطفالهن؛ كل هذا علّمه أن من العبث الصراع ضد الترك بيد واحدة، فاليد الواحدة لا تصفّق.

كان بدرخان بگ يهدف إلى تكوين كردستان مستقلة ضمن الحدود التي وضعها المبشرون الأرمن، وعندئذ سيكون الأمير الحاكم تحت السيادة الاسمية للفرس، وسوف يمنح سلطات كاملة لزعماء العشائر الكبار في الحكم الذاتي. أما الأرمن والآشوريون فسينظّمون الدولة، وسيضمنون صداقة دولتي روسيا وجورجيا. وإن المذبحة المروّعة التي حدثت سنة (1834 م) لعشرة آلاف آشوري كان العنصر الفاعل في

¹ - المقصود هو الزاب الأسفل - المترجم.

بجح مخطط استقلال كردستان، ويقال: إن ذلك المخطط كان يُعزى بقدر محدود إلى التنافس بين البعثات التبشيرية المتحمسة.

وحينما اعتلى **السلطان عبد المجيد** عرش السلطنة العثمانية بعد هزيمة نزيب سنة (1839 م) بشّر بعهد الإصلاحات، وأعاد النظر في سياسة الحملات العسكرية ضد الكرد، وحاول أن يفوز بطاعة الزعماء الكرد غير الخاضعين له بالوسائل السلمية. وابتداء من سنة (1840 م) عيّن الموظفين الكرد الذي يجيدون اللغة التركية للتوسط بين الباب العالي و**بدرخان بگ**.

وكان **بدرخان بگ** قد رفض الذهاب إلى أرضروم عندما طُلب منه ذلك، ولكنه عبّر عن تبعيته الرسمية للسلطان، بل إنه أرسل الهدايا إلى باشاوات أتراك مرتشين، ووافق على السماح للموظفين العثمانيين بتجنيد عدد محدد من الكرد في الجيش العثماني.

لم يكن موضوع الانضمام إلى الجيش العثماني مقبولاً عند شباب الكرد الجبلين الأقوياء، الذين ألفوا الحياة الحرة في الأماكن الطلقة وفي الجبال، وإن أولئك الذين أجبروا على الخدمة في الثكنات العسكرية التركية الموبوءة إما ماتوا بالأمراض، وإما فرّوا من الجيش. وذكر شهود عيان أنهم رأوا شباب الكرد الأصحاء يقيدون بالأغلال، ويساقون إلى الثكنات تحت سياط الجنود الترك، ولم يستطع **بدرخان بگ** أن يغيض الطرف أو يصمّ أذنيه عن الشكاوى التي وصلتته من زعماء العشائر الكردية في كل أرجاء كردستان.

بل إن عشائر طوروس وعشائر الجنوب التي كان من المفترض أن تكون قد خضعت للترك خلال سنوات (1834 - 1839 م) رفضت أن تزود الجيش العثماني بالجنود، وأن تدفع الضرائب. أما الشباب الخاضعون للخدمة العسكرية فقد فروا إلى الجبال لينجوا من الأسر، وأصبح كل ممرٍ على طرق القوافل يعجّ بالعصابات المسلحة التي كانت تنصب الكمائن، وتسلب المسافرين، وأصبح انعدام الأمن الذي كان سائداً من جبال أرارات إلى بغداد، أسوأ مما كان قبل إعلان (ميثاق الإصلاحات) الذي أصدر مؤقتاً، وقصد بها الباشاوات العثمانيون إخضاع الكرد للخدمة في الجيش.

وكانت السلطات الكنسية المسيحية في إستانبول، وفي مدن الأقاليم، لا تتحدّث باسم رعاياها النصارى فقط، بل باسم الكرد العاجزين عن الدفاع عن أنفسهم، وعن المزارعين الإيزديين، وقد بعثت تلك السلطات باحتجاجات متكررة إلى الباب العالي على ازدياد حالات السلب الذي كان يقوم به الكرد الفارون من الخدمة، وبعض الزعماء المتمردين، فقرر الباب العالي القيام بحملة جديدة بقيادة **عثمان باشا** الذي نقل مركز قيادته من أرضروم إلى دياربكر كتنازل لروسيا.

وفي سنة (1844 م) دعا **عثمان باشا** القواد الكرد للحضور إليه في دياربكر، لمناقشة طرائق جباية الضرائب، وتزويده بالجنود الكرد. ولم يهتم **بدرخان بگ** بدعوته، وعلى العكس من ذلك لبس **بدرخان بگ** جبّته المزركشة، وعمامته الضخمة، ولفّ وسطه بشال برّاق ومناديل حريرية، وارتدى سرواله الحريري، واحتذى حذاء أحمر معقوف إلى أعلى

من الأمام، وانطلق ببعض الفرسان المخلصين من عشيرته، وهم يحملون حراً بطول عشرة أقدام، وبنادق يمكن طيها.

وانطلق **بدرخان بگ** في جولة زار خلالها زعماء العشائر المحليين، بدءاً من جزيرة ابن عمر وانتهاء إلى شواطئ بحيرة وان الجنوبية، وكان يُستقبل في كل مكان باعتباره أمير كردستان، سواء أكان ذلك من قبل المسيحيين أم من قبل الفلاحين الكرد، ودعا الجميع إلى الإسهام في خزانة الحرب، كي يبقى مخلصاً لقضية الاستقلال حتى النهاية، وفي بعض المناطق كان يستعمل القوة لجمع التبرعات من المواطنين، وهذا ما يمكن إثباته من شهادات المعاصرين لتلك الأحداث.

وكانت هذه الممارسات حجة أخرى بأيدي الموالين للحكم العثماني في إستانبول وفي الأقاليم الأخرى، فرفعوا احتجاجاً عنيفاً ضد السلب الذي كان يقوم به **بدرخان بگ**، وقد رفع بطاركة الملل المسيحية شكوى جماعية إلى الباب العالي، وأرسلت الرسائل إلى مجامعها الكنسية وإلى نبلاتها للثورة ودعم الجيش العثماني بقيادة **عثمان باشا**، وقمع التمرد الكردي. وسواء أكان طواعية أم لأسباب نفعية فإن تلك النداءات لم تلق آذاناً صاغية لدى الفلاحين المسيحيين الذين كانوا يقيمون في مناطق الكرد أو بجوارها.

وعندما اقتنع **عثمان باشا** بعدم جدوى النداءات والمفاوضات حشد قوات كبيرة على ديار بكر جنوباً، وفي وان شمالاً. وفي الشمال كان على جيشه أن يزحف نحو هكاري- موكس على طول ضفاف دجلة، وأن يبعثر أو يردّ قوات **نور الله** و**محمود خان** باتجاه مرتفعات بوتان- برّواري، كي يهاجمها الجيش الجنوبي في ديار بكر، وذلك بهدف تطويق كل من

بدرخان بگ والزعيمين نور الله ومحمود خان في الجبال. وكان من المستحيل سلوك طريق العمليات العسكرية، بسبب فقدان المصادر المحلية، وكانت القوات الأوربية قد بدأت سياستها الشائنة تجاه الترك الإصلاحيين، لذلك كانوا مهتمين بأن يبقى الوضع هادئاً⁽¹⁾.

وفي سبيل تجنب دمار شامل اجتمع الزعماء الكرد وأمراء وان الأرمن، وتشاوروا في ربيع (1846 م)، ليعرضوا وساطتهم بين الباب العالي ومحمود خان. وبما أن الأطراف عانت المشقة فوافق محمود خان على آراء الممثلين الكرد والأرمن، بشرط أن يحصلوا على ضمان من عثمان باشا على شخصه وعائلته وممتلكاته، وأن يُعاملوا بشرف، وقد قبل عثمان باشا شروطه، وأقسم أغلظ الأيمان على تنفيذها، فترل محمود خان من الجبال، وسلّم نفسه للممثلين الذين سلّموه بدورهم إلى القائد العثماني.

وبالرغم من الأيمان الغليظة والضمانات فقد سلّم محمود خان- الذي ما كان ليُقهر- إلى العساكر الترك والباشبُوزق، فربطوه إلى شجرة بطريقة شنيعة، وجلدوه، وبصقوا عليه، ثم سكبوا العسل على وجهه، ليجمع الذباب عليه بينما كانت يداه مربوطتين.

وقد سلب العساكر الترك ونهبوا كل المقاطعة تماماً، وذبحوا النساء والأطفال، وهُدّت القلاع والحصون التي كانت تتمتع بتاريخ عظيم،

¹ - يقصد الكاتب أن الدول الأوربية تأمرت ضمناً مع الترك الإصلاحيين لضرب الثورة القومية في كردستان- المترجم.

وحُطِّمت كل الأعمال المعمارية الأرمنية القديمة، وتحوّلت إلى أنقاض، وتحققت مقولة " من هنا مرّ الترك " (1).

وإلى وقت قريب كان السكان يشيرون إلى آثار الشظايا المتناثرة على بعض الجدران القائمة، وعلى (دابريز) Dabris الذائعة الصيت، والتي كانت معقلاً حصيناً للموكلاتيس الأرمن والريشتونيس، وفي وقت لاحق للبارونات الكرد والأرمن في أرض موكس، الذين قاوموا لقرون طويلة الفرس والرومان والعرب. ولكنها الآن استسلمت، ليس بسبب شجاعة الترك؛ إذ إنه افتراء مشين القول بأن الترك أشجع من الكرد والأرمن والآشوريين، ولكن بسبب الوسائل التقنية الغربية الحديثة، ومكائد الساسة المرتزقة.

وحالما استسلم محمود خان حشد الترك جيوشهم في وادي بوتان بعد أن تلقوا تعزيزات وأسلحة، إضافة إلى فرقة ألبانية متخصصة في قتال الجبال. وعلى الرغم من أن القسم الأكبر من الجيش العثماني

¹ - لا يخفى على كل قارئ للتاريخ أن الترك ليسوا من الأجناس العريقة في غربي آسيا، وأن مواطنهم الأصيلة هي في سهوب آسيا الوسطى، وقد غزوا إيران وسائر مناطق غربي آسيا حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط بدءاً من القرن الخامس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، واحتلوها، وأقاموا فيها دولاً وإمبراطوريات، وكانت القبائل التركية الغازية؛ سواء أكانت من العُزّ (الأوغوز) أم من السلاجقة أم من العثمانيين، تشيع الدمار والتخريب والقتل في البلاد التي كانت تمر به، فضربت شعوب غربي آسيا هذا القول مثلاً - المترجم.

كان قد تم تدريبه بشكل كبير، لكن ذلك الجيش كان يمتلك معرفة أفضل في مجال الشتم والسباب.

إن فرسان **بدرخان بگ** الكرد الخبيرين بكل بوصة في الجبال والوديان فاجأوا الفرق التركية وأبادوها. لكن الأقدار كانت ضد **بدرخان بگ** الشجاع، ففي الوقت الذي كان فيه الانتصار في متناول يده انقلب عليه ابن أخيه واسمه **يزدان شير** (أسد يزدان) الذي كان قائد أحد أجنحة الجيش الكردي، وخانه⁽¹⁾.

وأصبح **بدرخان بگ** محاصراً ومقطوعاً عن الإمدادات من كل الجوانب، فترل في آب/ أغسطس (1847 م) واستسلم للماريشال **عثمان باشا** الذي استقبله بشكل جيد، وسمح له أن يحتفظ بسيفه، وعملت عائلته بشرف، وأُخذت منه خزانة الحرب، في حين أصبحت قلعته ومقاطعته خراباً، غير أن القبليين الذي كانوا مخلصين ل**بدرخان بگ** طعنوا بالحرا ب بشكل فظيع ومروّع.

¹ - هذه واحدة من أشنع السلبات التي مارسها بعض القادة الكرد ضد الحكومات والثورات الكردية، بدءاً من **هارباك** كبير القادة الميد الذي خان أستياگز آخر ملوك الميد، وتآمر على الدولة الميديّة مع **قورش الثاني** الأخميني سنة (550 ق.م)، وفي رواية سنة (546 ق.م)، وانتهاء بزعماء القبائل الكرد الذين خانوا ثورة **شيخ سعيد** في كردستان الشمالية سنة (1925 م)، وخانوا **جمهورية مهاباد** الكردية سنة (1946 م) في كردستان الشرقية، وخانوا الثورة الكردية التي قادها المرحوم **ملا مصطفى بارزاني** في كردستان الجنوبية (إقليم كردستان) خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين - المترجم.

أما بقية الزعماء الذين لم يستسلموا للعثمانيين فهربوا إلى بلاد فارس، أو إلى ما وراء القوقاز، أو اختفوا في الحصون الجبلية، ومن المستحيل أن تتخيل الوضع المأسوي لهذه البلاد ذات الحظ التعيس، فقد تحوّلت ثلاثة أرباع وديانها إلى أنقاض، واحتشد السكان في المدن حيث انتشر وباء الكوليرا في طول البلاد وعرضها.

وأما **بدرخان** نفسه فقد أخذ مع عائلته وأقربائه مرفقاً بفرقتين من المشاة إلى إستانبول عن طريق خربوط وطرايزون، ثم نفي إلى فارنا⁽¹⁾، واحتجز الآخرون في جزيرة كريت وفي كانديا Candia، ولكن أُطلق سراحهم سريعاً لأسباب سياسية؛ إذ باتت حرب القرم بين الإمبراطوريتين العثمانية والروسية (1854 - 1855 م) وشيكة الوقوع.

¹ - فارنا مدينة تقع في جنوب غربي تركيا، وهي المدينة نفسها التي نفي إليها المفكر الكردي الشيخ سعيد نورسي المشهور بلقب (بديع الزمان) صاحب (رسائل النور)، حينما تصدّى لسياسات مصطفى كمال (آتاتورك)- المترجم.

4

التاريخ يعيد نفسه (1848 - 1890 م)

إن نقل القواد الكبار من كردستان كان مؤقتاً في معظم الحالات، ولم يكن ذلك يعني أبداً هدوء المنطقة، فقد نشبت تمردات جديدة بين سنتي (1850 - 1851 م) بين القبائل نفسها، وفي الجبال ذاتها، تلك القبائل والجبال التي ظن الأتراك أن الهدوء خيم عليها إلى الأبد، وفي الحقيقة هناك أعاد التاريخ نفسه على نحو مستمر أكثر من أي مكان آخر. ومهما يكن فإن توقع حرب قادمة ضد الروس (1854 - 1855 م) جعل الباب العالي يتبنى سياسة استرضائية نحو القبائل الكردية، وبناء على ذلك أُطلق سراح كثير من زعماء العشائر الذين أسروا قبل سنوات قليلة، وأُرسِلوا إلى جبالهم لتجنيد العساكر كذخائر لمدافع العثمانيين، وأصبح طلب الضرائب السنوية والتزويد بالجنود مصدر مصادمات مستمرة بين السلطات العثمانية والقبائل الكردية.

إن صفحات كاملة يمكن أن تُملأ بالحديث عن الحملات العسكرية التي أرسلت لجمع ضرائب الماشية وتجنيد الشباب، وكذلك عن المقاومة الكردية المستمرة. وفي تلك الفترة تكررت أحداث (1843 - 1847 م)، ولكن على نطاق أصغر وفي مناطق معزولة، واضطرت الدولة

العثمانية أن ترسل مع جامعي الضرائب أفواجاً من الجيش النظامي، لجمع المال والعساكر من بين الكرد.

ونتيجة لحرب القرم هاجرت أعداد غفيرة من الشركس والقبائل المسلمة الأخرى من القوقاز إلى تركيا، وسُمح لهؤلاء باختيار أفضل المراعي في كردستان، الأمر الذي أثار النزاع مع القبائل الكردية التي اعتبرت لقرون طويلة أن تلك الأرض هي ميراث لها، وها هنا قامت الحكومة باتخاذ إجراءات كفيلة باستقرار المهاجرين الشركس بين القبائل الكردية الرعوية (كوچر) Cocher في مستوطنات مستقرة، وخلال هذه الفترة استقرت أعداد كبيرة من أولئك المهاجرين في مجتمعات زراعية، وبصورة رئيسية في الأراضي التي كان من المفروض أنها أملاك الدولة (ميري).

وإن استقرار العشائر المتنقلة كان حيويًا بالنسبة للفلاحين الهادئين وسكان المدن، وقد سُجل أنه في السبعينيات كان أسقف الأرمن يهتم بنفسه بالكرد الذين هم قيد الاستقرار، يعلمهم كيفية صنع المحاريث والأدوات الزراعية، وزراعة الحقول، ويُبارك لهم محاصيلهم، إلى جانب صنع الأدوات التي تقتلع الأعشاب الضارة، وقد أكسبت هذه الأمور القبائل الكردية الرعوية عادات ثابتة، وشرعت في التفكير والتعلم. إن هذا النهج استمر في ثبات بين القبائل الشمالية، وأحدث تقارباً بين العمال، وغالباً ما كان الفلاح والعامل الكرديان مُعرّضين للسلب واللصوصية مثل جاره المسيحي.

5

ثورة الكرد في بلاد فارس (1880-1881 م)

سببت الحرب التركية- الروسية سنة (1877 م) دماراً كبيراً في الأقاليم الشرقية من تركيا، فألى جانب المجاعة والطاعون الناجمين عن الحرب هلك عُشر الكرد والمسيحيين على حد سواء بسبب العمليات الحربية. وقد أشعلت هزيمة الترك النيران الكامنة في نفوس الكرد من أجل الاستقلال، لكن كانت هذه المرة موجهة ضد الفرس، على الأقل في الفترة الأولى.

إن الشيخ عبيد الله شَمْدِينان (في منطقة هكّاري قرب الحدود الإيرانية) كان زعيم الحركة، وهو ابن الشيخ المبجل (طاهر)، وقد أتبع الشيخ عبيد الله خطوات بدرخان بگ، وقرّر تشكيل كردستان مستقلة على الحدود. وفي عام (1878 م) وخلال غارة بعض الكرد من عشيرة الشيخ اعتقل حاكم أورميا الإيراني، وقُطعت رأسه، هذا إلى جانب اختطاف بعض الفتيات (كان الفرس مولعين جداً بالفتيات الكرديات الحسنات).

وفي احتجاج مقدم إلى القنصل الإنجليزي كتب الشيخ عبيد الله:

" الأمة الكردية شعب مستقل، دينهم مختلف عن الآخرين،
قوانينهم وعاداتهم متميزة، وهم معروفون بين كل الأمم

بأنهم مُفسدون وقُطّاع طرق... إن زعماء وحكام كردستان، سواء أكانوا رعايا للفرس أم للترك، وسكان كردستان مسلمين كانوا أم مسيحيين، قد اتحدوا وأجمعوا على أن الأمور باتت لا تطاق مع ممارسات الحكومتين التركية والفارسية، ومن الضروري أن يتمّ شيء ما، ولا سيما بعد أن فهمت الحكومات الأوربية قضيتنا، وتحققت من حالتنا السيئة.

إننا نريد أن تكون شؤوننا في أيدينا... وإلا فإن كل كردستان سوف تضع الأمر في أيديها، وهي غير قادرة على الاستمرار في تحمّل هذه الأعمال الشريرة المتواصلة، وهذا الاضطهاد الذي تمارسه هاتان الحكومتان بنيات غير صافية."

وكي يكون تهديده هذا مؤثراً فقد جمع الشيخ عبيد الله حوله بعضاً من أشجع زعماء الكرد في البلد المجاور، وشكّل اتحاداً سماه (التحالف الكردي) ومن بين مستشاريه بحري بك ابن الزعيم الشهير بدرخان بك. وأرسل الشيخ عبيد الله ابنه على رأس فرقة من الخيالة ليحتل ساوجبولاق⁽¹⁾.

¹ - في أوائل سنة (1946 م) برزت ساوجبولاق كمركز للحركة الكردية في أذربيجان، إنها واحدة من المدن التجارية لقبائل موكري القوية، التي يرجع تاريخها على الأقل إلى بداية عصرنا. والمؤرخ العربي المسعودي يُسميهم المجردان. ولكن كان يُشار إليهم عند الأرمن القدامى باسم ماخرتون Makhrtun، ويسكنون منطقة جنوبي بحيرة أورميا - المؤلف.

6

نشوء الحركة الوطنية الكردية

إن فشل الشيخ عبيد الله سنة (1881 م) في إثارة حميَّة القادة الكرد أعطى حافزاً جديداً لوعي الأفراد الكرد الأكثر تقدماً. وحينذاك كان شباب كرد كثيرون يدرسون في المدارس التركية في إستانبول، بل إن بعضهم، مثل أمراء بدرخان بگ وبابان، ذهبوا أبعد من ذلك، فتابعوا دراساتهم في الجامعات الفرنسية والسويسرية، وصدرت صحيفة بالكردية والعربية في مصر بعنوان (کردستان)، وكان محررها هو الأمير مدحت بدرخان، كما ظهرت مجلة دورية في جنيف باللغة الفرنسية تحت الاسم نفسه.

ولأسباب عديدة نمت فكرة (کردستان مستقلة)، لكن كان ذلك ببطء وعلى نحو مخالف تماماً للحركات الوطنية الأخرى. وقبل كل شيء فإن معظم القبائل المتحاربة كانت في الحقيقة شبه مستقلة، هذا قبل أن تكون مدركة بوقت طويل صياغة البرنامج الاستقلالي، وهذه الخصوصية للحركة الكردية تُعزى بلا شك إلى النظام القبلي.

وثمة عوامل عديدة عرقلت التطور السياسي في المجتمع الكردي، وحالت دون تحقيق الترابط بين الكرد، منها: فقدان وسيلة عامة لتعميم الثقافة الوطنية، وانعدام الوسائل الضرورية للتعبير عن العاطفة القومية،

والنظرة الإقليمية الضيقة، والفردية الشديدة، والغيرة المتطرفة بين القبائل؛ إن هذه العوامل كانت سبب الكوارث التي حلت بالشعب الكردي.

لقد كانت النزاعات التافهة جزءاً لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية للمجتمع الكردي، وكان من الممكن لتلك النزاعات أن تزول بالتخاطب وجهاً لوجه خلال دقائق معدودة، لكنها كانت تؤدي إلى سفك الدماء، وإلى نشوب عداوات طويلة بين الفرقاء، وإن الضغائن وعدم التسامح المتبادل كان يجعل الجراح تتقيح من جيل إلى جيل، مسببة ضياعاً مأسوياً للطاقات وللوقت وللمصادر المالية المحدودة. إن كل قبيلة كانت تعدّ نفسها مظلومة، وما كانت لتقتنع أو لتكفّ عن حقدها حتى تنتقم من الفريق المعارض، وغالباً ما كانت قبيلة فرعية من العشيرة نفسها.

ولعل في ذكر تجربة شخصية فائدة في شرح الطريقة التي كانت تمارس بها أفكار الشرف والشجاعة الشخصية في كردستان:

تقع مدينة بدليس الواقعة في منخفض شمالي طوروس الأرمنية، وهي الجسر الرئيسي بين الجبال المؤدية إلى دياربكر وسهول ما بين النهرين، وهناك كانت تقيم عشيرتان كرديتان هما **جَبُول** و**زَيَدَان**، وكانت زعامتا العشيرتين مقيمة في المدينة، لكنها كانت تستمد القوة والجنود من الجبال حتى جنوبي دياربكر. وقد قامت صداقة حميمة بين العشيرتين لسنوات عديدة، فقام الزواج المتبادل بينهما، كما كانت العشيرتان تنظّم غارات مشتركة على قطعان مواشي الفلاحين الكرد والأرمن العزل.

وفجأة نشب نزاع بين العشيرتين في ربيع سنة (1910 م)، لأن فتاة مومساً هتفت بصوت عال لفارس عشيرة **جَبُول** في سباق خيل

عفوي، بينما عبّرت عن ازدرائها لفارس عشيرة زيدان. وفي الحال دوت طلقات البنادق في الضواحي الجنوبية من المدينة لمدة ساعتين، وقُتل وجرح أناس كثيرون، وكالعادة احتفظ البوليس والجنود الترك بجيادهم، مع العلم أنهم كانوا يمتلكون القوة الكافية للتدخل ولإيقاف تلك الخصومة.

وفي اليوم التالي اندلعت حرب حقيقية بين العشيرتين، واستمرت ثمانية أشهر على نحو متقطع، وانضمت إلى الحرب عشائر صديقة لكلا الجانبين في مقاطعتي موثكان وخرزان (خرزان)، وبذلك انتقلت الحرب إلى تلك الأجزاء من الجبال.

وكنت أعرف زعيم عشيرة جبول منذ سنوات عديدة، إنه كان رجلاً متوسط العمر، مهذباً وبشوشاً ومنطقياً، كما كان لطيفاً في الأوقات العادية، ولكنه كان حانقاً وشرساً ومتعطشاً للدماء عندما رأته في مقره خلال الحرب الناشبة بين العشيرتين، إنه كان قد فقد هدوءه المعتاد وأساليبه الجذابة، وهدّد بمحاربة عشيرة زيدان حتى آخر قطرة دم من أبناء عشيرته، ما لم يسحبوا الكلمات المهينة التي قيلت على مسامح رجاله.

وأخيراً تدخل الشيخ محمود بين العشيرتين، وهو رجل دين من خرزان (خرزان) الواقعة في منتصف الطريق بين بدليس ودياربكر، وكان شخصاً محبوباً ومحترماً إلى حد كبير؛ إنه توسط بين الفريقين على نحو فعال، وأقام الصلح بين المتحاربين، لكن اندلع الصراع من جديد بين العشيرتين سنة (1912 م) بعد أن غادرت المدينة.

إن الحروب القبلية وإراقة الدماء بين الكرد كانت تنشأ أيضاً بسبب ثارات دم قديمة، وبسبب اختطاف النساء، والاستيلاء على القطعان والأسلحة، وبسبب التزاوجات الناجمة عن ملكية المراعي، إلى جانب أسباب أخرى مشابهة.

وفي العصر الحديث لا يملك الكرد مؤسسة وطنية تدرّبهم على الحكم الذاتي وعلى الأساليب الوطنية. إن بساطة تفكيرهم وقلوبهم الطيبة ورجولتهم استُغلت من قبل الترك، فاستخدموهم كقذائف مدافعهم في حروبهم الخاسرة على كل الجبهات.

ومثل كل جيرانهم من الأعراق البشرية الأصلية في المنطقة (العرب، الأرمن، الآشوريون، الفرس) كان العرق الكردي حتى سنوات قريبة العهد معزولاً عن المؤثرات الروحية والثقافية الأجنبية، وحافظ على نفسه أكثر من كل الأمم الأخرى، واحتفظ بصفاته العرقية وبتنظيماته الاقتصادية والاجتماعية سليمة طوال أربعة آلاف سنة مضت.

لكن في اللحظة التي قدّم فيها الكرد الشهداء في سبيل الحرية والوطن، كما هي الحال في الحركات التي قادها كل من بدرخان والشيخ عبید الله لأجل الاستقلال، أشرق عهد جديد للكرد. ولا شك أن نشاط الثورة الأرمنية في الثمانينيات من القرن التاسع عشر وما تلاه كان دافعاً ومثالاً للقادة الكرد المتنوّرين.

إن زعماء قبائل حيدران وتاجوري Taguri وشكاك القاطنة في شمال وشمال شرقي بحيرة وان كانوا فعّالين في تهريب الأسلحة إلى الأرمن

من بلاد فارس وروسيا، وتغنى الشعراء الكرد بطولات قادة الثورة الأرمنية، فالكرد يتأثرون بعمق بأية شجاعة فردية وبأية مآثرة حربية. إن السمة الرئيسة للصحف الكردية الأولى التي أُصدرت في مصر وسويسرا كانت تأكيداً مستمراً على أن الكرد والأرمن والآشوريين والإيزديين⁽¹⁾ يجب أن يعملوا معاً بشكل متناسق لتحقيق الهدف العام. والحق أن مجموعات وشخصيات عديدة من هذه الشعوب التقت وناقشت الأهداف العامة، ومن جانب آخر فإن زعماء عشائر كثيرين كانوا مرتبطين مع الأتراك بشكل وثيق، إنهم قتلوا وسلبوا الناس العزل دون تمييز.

1 - يكرر الكاتب عبارة (الكرد واليزيديين). ظناً منه أن الإيزديين ليسوا كرداً، وهذا وهم وقع فيه بعض الباحثين، فالإيزديون كرد أقحاح - المترجم.

7

تنظيم الفرسان الكرد (1889 – 1891 م)

قلما فشل الباب العالي في ملاحظة التعاون المتنامي بين الشعوب الرافضة لحكمه في التحوم الشرقية للدولة العثمانية. وثمة حركتان ثوريتان متميزتان؛ أرمنية وكردية، اتحدتا في ظروف معينة على نحو واعي، وهددتا بإحداث تقسيم حقيقي لتركيا. فرأى الباب العالي أن من الضروري دق إسفين بين هذين الشعبين الجارين، ليحارب بعضهما بعضاً الآخر.

ومن هنا نشأت فكرة تنظيم أبناء القبائل الكردية الشمالية في فرق خيالة، ليعملوا كمساعدين للجيش التركي، ومنح السلطان عبد الحميد الثاني تلك الفرق اسم (الحميدية) تشريفاً لها، ومن الناحية الشكلية أنشئت ست وسبعون فرقة، تضم كل فرقة أربعمئة فرد من المقاتلين الأقوياء، يقودها زعماء العشائر، وتوضع تحت إمرة قيادة أركان الجيش العثماني التي كان مقرها في أرزنجان⁽¹⁾.

1 - تُنسب الخطة الفعلية للتنظيم إلى المارشال الألماني فون دركولتس، الذي كان في خدمة تركيا منذ عام (1882 م)، وليست هذه كل الحقيقة،

ولم تكن هذه الفرق في أوج قوتها أبداً، فبعضها لم يُشكّل مطلقاً، وتحت هذا القناع الجديد سيقّت حوالي عشرين فرقة في أزيائها الرائعة لخوض الحرب ضد اليونان سنة (1897 م)، إنها جُلبت من جبالها إلى طرابزون، وشُحنت إلى سالونيكاً بعد عرض عسكري في إستانبول، ثم دُفعت إلى مقدّمة الجيش التركي في تيسالي Thessaly، فحاربت بشجاعة فائقة، ولكن عاد منهم أخيراً ربعهم فقط مع جيادهم إلى بيوتهم. إن دمج الشباب الكردي في الهيكل السياسي الماكر للأتراك جرّ الأذى على المواطنين بطريقتين:

- فمن ناحية زاد عنفهم تجاه جيرانهم الأرمن، إضافة إلى عنفهم تجاه المزارعين الكرد أنفسهم.
- ومن ناحية أخرى أفسدت الروح الوطنية الكردية، فانخرقت نشاطات وطموحات ذلك العرق السليم، وصبّت في أفنية سلبية وغير وطنية، وكي تكتمل الصورة تجب الملاحظة أن فرق (الحميدية) جُنّدت من بين أبناء القبائل الكردية العريقة في كوتيوم وكاشو على نحو خاص، أي بين مدينة الموصل وجبل حَمَرين، وفي الهضاب السفلى التي تطل على السهول الواقعة شمالي بغداد، وتلك هي المواطن الأصلية للشعب الكرد.

فالدول التي كانت حريصة آنذاك على بقاء الدولة العثمانية متماسكة كانت مشاركة في هذه السياسة أيضاً - المؤلف.

لقد عمل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ألف حساب لتقدّم الكرد على الصعيد الفكري، فاختر عدد من الشباب من مناطق كوتيوم، وأخذوا إلى إستانبول ليتعلموا في مدارس خاصة. إن تعليم اللغة الكردية - لغتهم الأصلية - كان محظوراً عليهم بزعم أنها لغة بدائية (بربرية)، وكانت مواد التعليم تركية، وبالطبع إن تعليم الشباب الكرد - وإن كان باللغة التركية - أفضل مئات المرات من لاشيء، ومع ذلك أظهرت هذه السياسة نزعة المكر التركي بخصوص القبائل الكردية الصديقة.

على أن هذا الإجراء لم يحلّ المشكلة كلها، فالشباب الذين أُخضعوا للخدمة العسكرية في الجيش التركي أصبح بإمكانهم الالتحاق بفرق الحيّالة في مناطقهم، وكانت تلك - على الأقل - وسيلة شريفة للخروج من المشكلة، لكن بقيت قضية الضرائب سبباً للتراخ على نحو مستمر، ويكفي أن نذكر مثلاً واحداً يعبر عن القهر الذي يمارس على الكرد المتعدّر كبتهم.

ففي سنة (1899 م) وجّهت السلطات تهديداً للحاكم التركي المحلي في برّواري شمالي بوتان صو، بالطرد والعقاب من قبل السلطان إذا لم يجمع مبلغاً يعادل (1500) جنيه إنكليزي كضريبة أغنام من كرد المقاطعة، ووُضع عشرون فارساً نظامياً تحت تصرّفه لتعزيز قوته وتنفيذ المهمة. وانطلق كولونيل الجندرم يرافقه خمسة من جباة الضرائب لجمع الضرائب أو الاستيلاء على المواشي.

وعندما وصل الخبر إلى الكرد المتردّدين في دفع الضرائب تحصّنوا في مدخل ممر ضيق، وقتلوا جميع رجال السلطة التركية، ما عدا اثنين من جباة الضرائب اللذين لم يتمكّنوا من النجاة، فركعا وطلبوا الرحمة باللغة

الكردية. وبعد أشهر قليلة أصدر السلطان أمراً إمبراطورياً بمساحة هؤلاء
الکرد، وأرسل إليهم أوسمة وتحيات.

الفصل السادس

الكرد
وتركيا الحديثة
(1908 م)

1

الثورة التركرية والكرء (1908 م)

لم يكن رءل أوربا المررض (الدولة العثمانية) أشء مرضاً مما كان عليه أثناء حكم السلطان عبء الحمراء الشانى (1876 - 1909 م)، وقء اسءفاء الناس بشكل نسبى من الفوضى اللى ساءء فى تلك السناوء، وكان السلطان نفسه هو المسءفء الأوء، فقء كانت له أربعة آلاف امرأة، والعءءء من الباشاوء والأءباع والءواسس والمءبرن والولة، فى إمبراطورفة شاسعة ءمءء من بءر الأءرباءءك إلى الءلءف الفارسى، إضافة إلى سناءء الءفون الأوربفة ذاء الفواءء الربوففة على ءركفا.

وكان الفقر فزءاء بمءوالفاء هءءسفة، وفى كل سنة ءقرباً كانت الءروب ضء العرب والألبان والمقءونفن والكرء وآءرفن ءسءرف شرفان الءفاة لكل ءنس أو طبقة، وأصء المءقفون ءرك فى الءاءل والءاءرء فلفءءون بالءءان ءءورفة ءفر ءركفة، للإطاحة بالسلطان، وإنقاء الأراضف الءفءة للإمبراطورفة العثمرفة من الءمار والانهفار ءامفن.

وقء قفل: إن زفارة ملك برفطانفا إءاورء السابع للقفصر الروسف نقولا سنة (1907 م) ءءم عنها مشروع عملف لءقسفم ءركفا؛ إن هءه الإشاعاء المءلقة بمصفر ءركفا زاءء من الشعور بالمرارة عند ءرك، ووءءء ءعبفراً لها فى ءمراء الءفش ءركف المءمركز فى مقءونفا صفف (1908 م)، وقء أوصل ذلك ءمراء ءزب (ءركفا الفءاءة) إلى السلطة.

واستطاع الحكام الجدد التعامل بسهولة مع الأصدقاء الموالين للسلطان في العاصمة إستانبول وفي المراكز الكبيرة قرب العاصمة أيضاً. لكن الأمر كان مختلفاً في جبال زاغروس وطوروس وفي الصحارى العربية؛ ففي السنة الأولى اتخذت حكومة (تركيا الفتاة) إجراءات عسكرية ضد القبائل الكردية التي كانت على ودّ خاص مع السلطان المخلوع، وخاصة ضد عشيرة مللي (مهراني) الإيزدية، وضد إبراهيم باشا زعيم ويران شهر، وضد البارزانيين الذين أصبحوا متميزين خلال الخمس عشرة سنة السابقة، وأخيراً ضد قبائل القيزيل باش⁽¹⁾ المتحصّنة في جبال درسيم.

وفي الحقيقة لم تخضع قبيلة كردية ما أو منطقة ما بشكل تام للحكومة التركية الجديدة إلا بعد تعيين حاميات عسكرية في أوساطهم، وبالرغم من ذلك، ونظراً لاتصاف الشعب الكردي بالصمود والتلاؤم مع الأوضاع الصعبة، فقد نجح الكرد في جعل الحاميات العسكرية جحيماً لا يطاق، وجعلوا استمرار بقائها أمراً مكلفاً جداً.

وإضافة إلى ذلك تفجّرت أزمات سياسية واحدة تلو الأخرى خلال الشهر الرابع من الثورة التركية، وأفلحت تلك الأزمات في إحداث مفاجآت دراماتيكية، وفي البداية أعلنت بلغاريا استقلالها التام عن تركيا، وبعد ذلك مباشرة انضمت النمسا وهنغاريا إلى سنجق نوفي بازار Novi Bazar.

¹ - أتباع المذهب العلوي - المترجم.

لقد وَّجَّهت هذه التعقيدات ضربة قاتلة إلى هيبة الثورة التركية، وتفاقت التعقيدات أكثر عندما أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا في خريف سنة (1911م)، واحتلت إقليمين من ليبيا، وبينما كانت الدولتان المتحاربتان تتفاوضان لعقد هدنة سلام في خريف سنة (1912م) هاجمت جيوش تحالف دول البلقان تركيا، وألحقت هزيمة نكراء بالجيوش التركية، وزحفت إلى بوابات إستانبول. وفي تلك الأثناء فرضت الدول الأوروبية العظمى الست (مشروع إصلاحات) على تركيا بإشراف أوربي لمصلحة أرمينيا.

إن صدى تلك الأحداث، والانهيار المحتمل لتركيا الذي بدأ يلوح في الأفق، جعل الزعماء الكرد ومفكريهم ينشطون أكثر، وفي الحقيقة قدّمت تركيا الفتاة بعض الإصلاحات الدستورية، مثل حرية التعبير والطباعة والثقافة، وفي سنة (1908م) تأسّس نادٍ كردي في إستانبول بمبادرة من الأمير أمين بدر خان، حفيد الزعيم العظيم بدر خان بك الذي قاد ثورة (1842 - 1847م)، وكان هدف النادي هو دراسة المبادئ الأساسية التي يجب أن تحكم تنظيم الأمة والوطن، وأصدرت صحيفة تدعى (التعاون والترقي الكردي).

وفي الأعداد القليلة الأولى لتلك الصحيفة ركّز زعماء مثل بابان زاده إسماعيل حقّي، وسعيد كردي، والشيخ عبد القادر، على تكوين لغة جيدة واكتسابها، تكون مفتاحاً للتعلم وللحضارة، ونشرت التفاصيل التي تؤكد غنى الفولكلور الكردي والأدب الكردي الشفوي، باعتبار أن دراسات كهذه تسهم في تنامي الوحدة الوطنية، كما

أنها شجعت الكرد، بلغة مبطنة وحذرة، على عدم دراسة اللغة التركية، وعدت ذلك مضيعة للوقت بالنسبة لأبناء الكرد، ورأت أن الشرط الأساسي لمواطنة تركية جديدة بالنسبة للكرد هو أن يتثقفوا ككرد جيدين، واقترحت تأسيس قوة كردية وطنية يكون الجنود القبليون نواة لها.

وتأسست نواد كردية مشابهة في كل من بغداد والموصل وديار بكر لتنتشر الأفكار نفسها والمبادئ عينها بين القبائل، وفتحت الحريات الدستورية مجالات عديدة، وكان هناك حماس شديد بين شباب كل شعب في الإمبراطورية العثمانية لتعلم العلوم والقانون واللغات الأجنبية.

إن الشغف العام بالثقافة شكّل رباطاً قوياً ليس فقط بين الطلاب الذين لم يلتقوا في المدرسة والاجتماعات العامة، بل أيضاً بين التجمعات الاجتماعية. لقد استطاعوا جميعهم أن يتكلموا ويتبادلوا الآراء، وإن مصالحة الأجناس وتعاونها التنسيقي تحت الراية العثمانية كانت واحدة من أهم الأهداف المعلنة للثورة التركية.

ويوجد دليل على أن رجال الحلقة الداخلية للجنة (تركيا الفتاة) - وكانوا على الغالب من أصول هجينة - نظروا بعين السخط إلى التطور السريع للتفاهم والتعاون المشترك بين الشعبين الجارين الكرد والأرمن. وقد اتخذ أعضاء من هذين الشعبين أسلوباً متوافقاً في البرلمان التركي، وغالباً ما كانت تخرج من نقاشات المجلس بخلافات على ملكية الأرض وأسباب أخرى كانت مثار نزاع، وفي أوائل صيف (1909 م) كان الموظفون السريون للجنة (تركيا الفتاة) يتجولون في الأقاليم الشرقية، ويزرعون الشك والتزاع بين الأرمن والكرد.

وبالرغم من العواصف السياسية، والحروب في شمالي إفريقيا والبلقان، كانت الأقاليم الكردية- الأرمنية شرقي الفرات تسترد عافيتها بسرعة من الدمار الاقتصادي الناجم عن حكم عبد الحميد الثاني، وفي غضون خمس سنوات (1908 - 1913 م) نمت آسيا العثمانية وخاصة في الحزام الكردي- الأرمني- العربي، وازدهرت ثروتها إلى حد كبير. وإن حرية المشاريع والسفر وتوافر الأمن النسبي على الطرق الجبلية العالية أغرت بعض الناس بتطوير مواهبها الدفينة الموروثة منذ خمسة وأربعين قرناً⁽¹⁾.

وفي الوقت نفسه كانت ثمة صورة أخرى، فمنذ سنة (1908 م) كانت هناك حرية لكل شخص في الإمبراطورية العثمانية، فكلمات الحرية والمساواة والأخوة كانت على شفاه كل الذين ينادون بها عالياً، أو الذين ينضمّون إلى استعراضات النصر الصاخبة، ولكن في إطار شروط محددة. والحرية سيف ذو حدين، لذلك كان الكردي العادي الذي لم يتعلّم الأحكام الدستورية يصبح غريباً عن إنسانيته، ما دام لم يفهم كلمة الحرية بطريقته الخاصة وبحسب أفكاره.

إن القبائل والزعماء الكرد الذين استفادوا في عهد السلطان المخلوع كانوا يُثارون من قبل دوائر رجعية في العاصمة، ليقوموا بالقتال في الأقاليم النائية، وليخلقوا المتاعب للسلطة الجديدة، فانتشر قطع الطرق

¹ - أخبرني بشار جتو آغا سنة (1910م) أنه خلال سنتين تضاعفت قطعانه، وأصبح قادراً على أن يبيع حينئذ مئة حصان بدلاً من ثلاثين حصاناً قبل سنتين - المؤلف.

والسلب في الأودية المنعزلة وفي المقاطعات البعيدة عن الطرق الرئيسية،
وازداد سلب قطعان الماشية العائدة للفلاحين العزل طرداً مع الهزائم
التركية في البلقان.

وظهرت في الوقت نفسه صيغة سياسية جديدة شعارها (کردستان
للکرد)، وانتقلت هذه العبارة همساً من تكية شيخ إلى تكية شيخ آخر،
واعتقد الجميع أن الإمبراطورية العثمانية عانت من الكوارث الهائلة بين
سنتي (1912 - 1913 م) بسبب التوجه الإلحادي الماسوني لرجال
حزب (تركيا الفتاة).

وكالعادة أخذ كرد أرمينيا زمام المبادرة في العمل الثوري.

وكانت السلطات التركية بأمرٍ الحاجة إلى المال والجنود، لإعادة
بناء جيوشها المنحلة والمتفككة في الغرب، فرجعت إلى حساباتها القديمة
لاكتشاف مصادر جديدة للمال والجنود. وكان والي بدليس نموذجاً
للتركي الإستانبولي الملم بالفرنسية على نحو سطحي، واكتشف هذا الوالي
في ربيع (1913 م) أنه في العشرين سنة الماضية لم تدفع عائلة الشيخ
سعيد علي شيخ خيزان الكردي فلساً واحداً من الضرائب، ولم تقدم أي
جندي من أبنائها الذين كان عددهم يبلغ المئات.

فأرسل الوالي تحياته للشيخ، وطلب منه بطريقة مهذبة تسديد
التأخرات المستحقة عليه للدولة، فرد الشيخ كذلك بأدب عليه قائلاً: بما
أنه يُعدّ مثل أسلافه الرئيس الروحي لمنطقة شاسعة، وبما أنه راعٍ لتكّية،
فإن آلاف المسافرين والفقراء والدرأويش والمتشردين والتجار يقصدونه،
ويحصلون على ما يحتاجونه من المأوى والطعام مجاناً، كما أن عشرات

الآلاف يقصدونه كل عام كحجاج، ولذلك فهو معفى من الضرائب، والرجال الذين لديه يقومون بخدمته المباشرة، ويؤدون الواجبات الدينية.

وكان الشيخ سعيد متهوراً؛ إذ أضاف أن الحكومة الخيرة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني لم تصدر عنه طلبات كهذه. فكان هذا كافياً لأن يغيظ والي (تركيا الفتاة)، فأرسل عدداً كبيراً من الجندرما (الدرك) ليسيظروا على قطعان الماشية التابعة للشيخ. وتقريباً كان كل كردي وكل مسلم من منطقة ديار بكر إلى منطقة وان متعاطفاً مع أفكار الشيخ؛ إذ كان الكثيرون يجّلون كقديس.

ولدى سماع الشيخ سعيد علي بنوايا الوالي التركي من المتعاطفين معه جمع حوالي سبعمئة من أكفأ محاربيه وسلّحهم، وانطلق على رأسهم للاستيلاء على بدليس، ولطرد الرومي الملحد. أما الجندرمه الذي قابلهم في طريقه فتبعثروا دون أن يطلقوا رصاصة واحدة على قوات شيخهم، لأن معظمهم كانوا كرداً. وفي تموز/يوليو (1913 م) احتل الشيخ مدينة بدليس وجوارها، وفرّ منها الوالي التركي نفسه وكل موظف تركي.

ومثله كمثل بدرخان بگ والشيخ عبيد الله وآخرين أصدر شيخ خيزان إعلاناً مقتعاً داعياً فيه الأرمن والآشوريين والكلدان إلى المسارعة لدعمه، ولتخليص البلد من الروم (الترك).

لم يكن الوقت الذي اختاره الشيخ سعيد علي مناسباً على الإطلاق، فكل تركيا الآسيوية كانت قد ازدهرت منذ (1908 م) لمصلحة الجميع ولمنفعة البلد، ورأى الأرمن أنه من الضروري استمرار الأمن والنظام في الأقاليم الشرقية من تركيا (أرمينيا وكرديستان)، ويجب

دعم حكومة تركيا الفتاة التقدمية للتغلب على المصاعب الناشئة في المركز.

وصحيح أن حكومة تركيا الفتاة كانت قد قتلت الآلاف من الأرمن في كيليكيا سنة (1909 م)، وأنها حوّلت ذلك الإقليم المزدهر إلى خراب، لكن كان الكرد والمسيحيون متفقين على ضرورة استمرار الإمبراطورية العثمانية كوحدة اقتصادية وسياسية.

إن حكم الشيخ سعيد علي في بدليس دام أسبوعاً فقط؛ إذ استقدم الأتراك الجنود من ديار بكر وموش، وأعادوا احتلال المدينة بعد قتال عنيف، فطلب الشيخ وبعض أعوانه اللجوء السياسي في القنصلية الروسية في المدينة، وبينما كان يحاول النجاة بنفسه واللجوء إلى الجبال بعد أسابيع قليلة ألقى القبض عليه، وأُعدم علناً مع أربعة من أتباعه المقربين.

2

القبائل الكردية والحرب العالمية الأولى (1914 - 1918 م)

من الصعب فهم أن القبائل الكردية التي كانت تعيش في شمالي الموصل وبوتان وأرمينيا قد عانت بدرجات أقل مما عاناه الأرمن خلال الحرب الكونية الكبرى، فمعظم الكرد البسطاء كانوا ما يزالون يحملون أفكاراً قدرية حول القضايا الإنسانية والأحداث السياسية، ولذلك كانوا يعتبرون أن الاعتراف بخسائرهم والنواح عليها يعدّ انتقاصاً من احترام النفس ومن السمو القبلي. ومثل معظم جيرانهم كان الكرد يجهلون حقيقة مشاركة الترك في الحرب الأوروبية، أضف إلى هذا أنهم كانوا على استعداد دائم، وفي دقائق معدودة، لأية حرب أو غنيمة ناجمة عنها.

ثم إن بعض القبائل، وخاصة فرق الفرسان الخفيفة القديمة التي كانت تعيش بجوار ما وراء حدود القوقاز، أُجبرت على الانضمام إلى الحرب كجزء متمم للجيش التركي. أما القادة الكرد الأعمق تفكيراً، والمشربون بروح القومية الكردية، فكانوا ما يزالون يفتقرون إلى التماسك، وما كانوا قد نظّموا صفوفهم بعدُ بشكل كاف ليأخذوا بسياسة كردية وطنية متميزة.

ولم تكن للکرد، من حيث كونهم شعباً، أية مصلحة في خوض هذه الحرب المدمرة، ومن ناحية أخرى فإن غزو الجيش الروسي القوقازي للأقاليم الأرمنية في تركيا حوّلت القرى والمراعي الكردية إلى ساحة معركة بين الدول المتحاربة، وربما أنه لم يكن أمام الكرد خيار آخر، وحتى القبائل الكردية في فارس - البلد المستقل الذي بقي محايداً خلال الحرب - جُرّت إلى دوامة الحرب في الشمال والجنوب، ولعل هذا يبدو متناقضاً، ومع ذلك فإنه حقيقة.

إن قبائل **شيكاك** و**مؤكري** و**هارتوشي** وقبائل أخرى منتشرة على طول الحدود الفارسية التركية في الشمال، وكذلك قبائل **اللور** و**سنجابي** و**كالخوري**، والقبائل التي كانت تسيطر على الممرات الرئيسية بين بغداد وكرمنشاه في الجنوب؛ إن جميع هؤلاء عانوا كثيراً من تقلبات الحرب، تماماً مثلما عانت القبائل الموجودة في تركيا التي شاركت في الحرب.

وكانت منطقتا **أذربيجان** الفارسية و**كردستان** الفارسية في الشمال والجنوب تنتقل من يد إلى أخرى بين الروس والترك والبريطانيين، وتعاني ثانية من الدمار والخراب والمجاعة المتواصلة.

إن **الأمير ثريا بدرخان** - حفيد الزعيم الشهير **بدرخان بگ** قائد ثورة (1842 - 1847 م) - كتب ما يلي حول العلاقة التي كانت قائمة بين الأرمن والکرد أثناء الحرب:

" لدى اندلاع الحرب انخرط معظم الكرد الذين كانوا قد بلغوا سنّ الجندية في الجيش التركي، وفي غياب كل وسائل الاتصال بأوطانهم ظلوا على جهل تامّ بخطط الحكومة

التركية وأعمالها في كردستان. وعلاوة على ذلك كانت الحكومة تشنّ حملة كراهية نشيطة ضد الأرمن والمسيحيين بشكل عامّ بين الجنود الكرد النظاميين وغير النظاميين، إن الكراهية الحقيقية والمصطنعة للأرمن تجاه الكرد كانت قد رُسّخت منذ زمن طويل وبشكل مستمر، كما أنّها ترسّخت في أذهان الكرد من قبل الدعاية التركية.

لقد أخبر رجال (تركيا الفتاة) الكرد أن الأرمن قد نسّقوا مع الحلفاء قبل أشهر فقط من دخول الجيش التركي في الحرب، وأنّ أرمن ما وراء القوقاز وأرمن تركيا دخلوا في اتفاق خطي مع روسيا، وبموجب ذلك ستساعدهم روسيا في غزو أرمينيا التركية وكردستان والسيطرة عليهما، وبطبيعة الحال، ونتيجة الأحقاد القديمة فإنّ الأرمن سينتقمون من الكرد انتقاماً مريعاً.

إنّ هذا النوع من الدعاية كان مؤثراً ومقنعاً، فقد كسبت المحاربين الكرد إلى جانب تركيا المسلمة، وبهذا أصبحوا لعبة بيد الترك، فعانى الكرد وبشكل هائل جسدياً ومعنوياً، وأسهموا بشكل كبير في دمار ثرواتهم وأوطانهم وفي ورطتهم الحالية".

ومن غير تفكير أو تنظيم أصبح عدد كبير من الكرد أدوات في أيدي عصابات شريرة جاءت من سالونيك وإستانبول، وكان غرضها

قتل وسلب نصف الشعب الأرمني تقريباً؛ نقصد كل المتبقين من الشعب الأرمني في تركيا، ما عدا أولئك الذين كانوا في إستانبول وسميرنا⁽¹⁾.

¹ - تُسرّع بعض الجهات الأرمنية إلى تحميل الشعب الكردي وزر العذابات التي حلّت بالأرمن في تركيا في أوائل القرن العشرين، وهذا ما لا يقول به منصف، ولا يقرّه عاقل، لأسباب ثلاثة:

- أولاً لأنه لم تكن للکرد لا دولة ولا مؤسسات تشريعية ولا أحزاب سياسية تمثلهم، وتتخذ القرارات، وإنما كان الكرد خاضعين للدولة التركية، ثم إن الفرق الحميدية المؤلفة من الكرد، والتي يقال بأنها شاركت في بعض تلك الجرائم، إنما كانت جزءاً من الجيش العثماني، وكان عناصرها متسلّطين على الأرمن والکرد معاً، ولذا فإن الدولة التركية هي المسؤولة عما حلّ بالأرمن.

- وثانياً أن الكرد الذين شاركوا في تلك الجرائم هم أفراد، أو أبناء قبائل محدودة، فعلوا ذلك نتيجة الجهل الذي كان مخيماً عليهم، أو انساقوا مع حملة التكفير التي شنتها الدولة التركية ضد الأرمن.

- وثالثاً أن بعض هؤلاء الكرد الذين شاركوا في تلك الجرائم فعلوا ذلك انتقاماً من الأرمن الذين استعانوا بالجيش الروسي، وارتكبوا المجازر ضد كثيرين من الكرد في المناطق المتاخمة لأرمينيا، وبعبارة أخرى: كان بعض الأرمن وسيلة في أيدي الروس، كما كان بعض الكرد وسيلة بين أيدي الترك.

ومن العدل التذكير بأن كثيرين من الكرد ساعدوا الأرمن وغيرهم من المسيحيين الذين فروا من المذابح التي أقامتها لهم السلطات التركية، وأخفوهم معرّضين بذلك أنفسهم للهلاك، ومثال ذلك أن الشيخ حسن الفندكي، من كبار علماء بوتان في عهده، كان يخفي المسيحيين الهاربين من الجيش العثماني في مسجده ومدرسته، ويلف بهم حصر المسجد، ثم يرسلهم ليلاً مع بعض

وفي فترة (1915 - 1916 م)، وقبل تقدّم الجيش القوقازي معزّزاً بفرق أرمنية خاصة، فرّ معظم الكرد من أقاليم وان وبدليس وأرضروم، ما عدا القبائل التي كانت تتعاون دائماً مع الأرمن؛ فرّ بعضهم بمحض إرادتهم، وفرّ آخرون مرغمين أو خائفين من السلطات التركية، وإن قبائل كردية كاملة كانت تسكن في الولايات الآنفة الذكر تحرّكت أمام الترك المهزومين المتقهقرين، أحياناً في قلب الشتاء، وأحياناً في الصيف.

الأشخاص، فيعبرون بهم نهر دجلة إلى منطقة طور عبيد غير المشمولة بالإبادة الجماعية. وتقديراً لدور محمد شمدين آغا زاخوي في إنقاذ الأرمن والمسيحيين عامة أرسل إليه بابا الفاتيكان بيوس الحادي عشر (1922 - 1939 م) ميدالية باباوية ذهبية مع سيف وبنزة من زي الفرسان وشارتهم، ومنحه لقب (فارس بدرجة بيوس). انظر: عبد الرقيب يوسف: حدود كردستان الجنوبية تاريخياً وجغرافياً خلال خمسة آلاف عام، دار شفان، السليمانية، إقليم كردستان، الطبعة الأولى، 2005، ص 374.

وذكر لي الأستاذ حسو أومريكو- وهو كردي إيزدي من قرية عرشقبيار في منطقة عفرين (جبل الكرد) بسوريا، ومجاز في التاريخ- أن الكنيسة الأرمنية في حلب عرفت بزيارة زعيم كردي إيزدي، أرجح أنه هو شرو من عشيرة دّنادي، إلى حلب، وأنه ضيف عنده (عند الأستاذ حسو)، فجاء وفد من قبلها، تشكر الزعيم الإيزدي، وتقدم له سيفاً، تقديراً لجهوده في حماية الأرمن حينما فروا من وجه السلطات التركية.

ومهما يكن فإن القيادات الأرمنية والكردية تنبّهت إلى أغراض السياسة التركية، فوضعت تلك الذكريات الأليمة جانبا، ونسّقت نشاطاتها للخلاص من القهر التركي المسلط على الكرد والأرمن معاً - المترجم.

وكان على الكرد أن يرتحلوا بممتلكاتهم وقطعانهم بعيداً نحو الجنوب، متجهين إلى مدن مثل ديار بكر والموصل، أو حتى إلى مدن في الغرب مثل خربوت وقونيه. وبما أن الكرد كانوا معتادين على الأودية الباردة في أرمينيا فإن الفارين سقطوا بالملئات على جوانب الطرق وسط حرارة بلاد العراق الشديدة، أو في السهول الرملية الناقلة للملاريا في الأناضول.

إن الأرقام الإجمالية للخسائر الكردية أثناء الحرب لا يمكن معرفتها بدقة، ويذكر الأمير ثريا بدرخان أن الترك قاموا بترحيل حوالي (700000) سبعمئة ألف كردي خلال حرب (1914 - 1918 م)، وقد هلك منهم النصف، أما الكرد القلائل الباقون على قيد الحياة، والذين عادوا إلى مناطقهم الجبلية، وإلى مساكنهم في الأقاليم الأرمنية، فلم يبقوا طويلاً؛ لأنه لم يعد هناك خياطون أرمن ولا صنّاع أحذية ولا حرفيون من أية مهنة، وإلى ذلك الحين لم يكن الكرد القبليون قد تعلموا تلك المهن والصناعات المنتجة.

3

المطالب الكردية في مؤتمر السلام (1919 - 1920 م)

إذا كان الكرد خلال الحرب قد قاتلوا وماتوا لأجل الترك، دون تمييز، ودون خطة وطنية متفق عليها، فإنهم على أية حال كانوا حكماء بشكل كاف لتبني سياسة على جبهتين:

- توجّهت إحداهما إلى مؤتمر السلام الذي عقده الحلفاء⁽¹⁾ في باريس.

- وبقيت الأخرى على اتصال بالترك المنحدرين.

وفي القاهرة نظّم الأمير ثرياً بدرخان وزملاؤه لجنة من أجل استقلال كردستان، وعيّنوا الجنرال شريف باشا، الكردي الوطني من درسيم⁽²⁾، والذي كان حتى ذلك الوقت سفيراً لتركيا في السويد، ليعرض القضية الكردية في باريس.

¹ - الحلفاء هم الذين قادوا الحرب ضد ألمانيا في الحرب العالمية الأولى - المترجم.

² - الصواب فيما نعلم أن أسرة شريف باشا هي في الأصل من مدينة السليمانية في كردستان الجنوبية (إقليم كردستان - العراق)، ولعلها استقرت بعد ذلك في درسيم بكردستان الشمالية - المترجم.

وعندما تصادمت بعض المطالب الكردية بشأن الأرض مع مطالب مماثلة لما عند الأرمن فإن الممثلين الرئيسيين للأمتين (الأرمني بُوغُوص نُوبار، والكردى شريف باشا) وقعا على اتفاق لمتابعة المصالح العامة لهذين الشعبين، وقد صُعب الخبيراء والدبلوماسيون الأوربيون والصحفيون من الدرجة الثالثة في كل معسكر بسبب هذا التفاهم الكردي- الأرمني؛ لأنهم زعموا طوال نصف قرن من الزمان تقريباً أن هذين الشعبين المتجاورين عدوان لدودان، ولن يعملوا معاً أبداً.

إن معايير معاهدة سيفر الموقعة بين دول التحالف وتركيا في آب / أغسطس (1920 م) مهّدت لقيام دولة كردية كما يلي:

- **المادة (62):** إن اللجنة المقيمة في إستانبول، والمكوّنة من ثلاثة أعضاء معيّنين من قبل الحكومات البريطانية والفرنسية والإيطالية، سترسم مخططاً تمهيدياً خلال ستة أشهر من تاريخ المعاهدة النافذة المفعول، والخاصة بمشروع الاستقلال الذاتي المحلي للمناطق الكردية التي تحت سيطرتهم سابقاً، والواقعة شرقي نهر الفرات، وجنوبي التخوم الجنوبية لأرمينيا، حسبما سيتقرّر بعدئذ، وفي شمالي الحدود التركية مع سوريا، وبلاد ما بين النهرين. وسوف يتضمّن المشروع حماية كاملة للأشوريين والكلدان والأقليات الدينية والعرقية الأخرى ضمن هذه المناطق.

• **المادة (63):** توافق الحكومة التركية على ذلك، وتنفذ قرارات اللجنتين المكلفتين المذكورة في المادة (62) خلال ثلاثة أشهر من اتصالها بالحكومات المذكورة آنفاً.

• **المادة (64):** إذا تأكد خلال عام واحد أن أغلبية الشعب الكردي تطلب الاستقلال عن تركيا، وأن مجلس هيئة الأمم المتحدة يعدّ هذا الشعب قادراً على استقلال كهذا، فيجب على تركيا الموافقة على تنفيذ توصية كهذه، وتتخلى عن كل الحقوق في هذه المناطق.

وقد وقع المبعوثون السياسيون الترك على هذه المعاهدة، ولكن الأعضاء السريين في دول التحالف رأّت أن معاهدة سيفر تعترف باستقلال كردستان وأرمينيا، ويجب أن تبقى وثيقة ميتة.

وكما أسلفنا القول فإن القادة الكرد كانوا حكماً في المحافظة على الاتصال مع تركيا، وبعد هدنة (1918 م) مباشرة فإن معظم المفكرين الكرد والمنحدرين من عوائل كردية معروفة استأنفوا نشاطهم في إستانبول، وظلّ كثيرون منهم ممن بقوا على قيد الحياة يعملون من أجل قضية الاستقلال، ومن بينهم الأمير كاميران بدرخان الممثل الحقيقي لعائلة بدرخان الكبيرة، والذي يحرّر صحيفة (هاوار) بالكردية في سوريا اليوم⁽¹⁾، إلى جانب مساهماته في إصدارات أخرى.

¹ - من المفيد أن نتذكّر أن هذا الكتاب نُشر أول مرة في سنة (1948) - المترجم.

ومن هؤلاء أيضاً الأبطال الثلاثة لحميل باشا زاده في ديار بكر، وهم
أكرم بك، وعمر بك، وقدري بك، ومنهم أيضاً السناتور (عضو
البرلمان) سعيد عبد القادر الوطني الذي شنقه الأتراك سنة (1925 م)،
وممدوح سليم بك، ومصطفى باشا من السليمانية، وأمير علي بك،
وكثيرون آخرون من النبلاء والقادة والضباط.

وأنشأ الكرد معاهد ثقافية وصحفاً في العاصمة إستانبول وفي أقاليم
کردستان، ولكن عندما اشتد ساعد كمال أتاتورك في تركيا الآسيوية،
وأعاد احتلال إستانبول سنة (1923 م)، غادرها هؤلاء القادة الكرد
الوطنيون، ليواصلوا نشاطهم خارج تركيا، وكما سوف يظهر فقد
حدثت معجزة خلال السنوات القليلة التالية بين سنوات (1923 -
1927 م)؛ إذ بالرغم من كل الوعود وتوقيع معاهدة سيفر، فقد خانت
كل قوى التحالف كلاً من كردستان وأرمينيا، وذلك في معاهدة لوزان
مع تركيا (1923 م)، وتبع ذلك في سنة (1925 م) انتفاضة كردية
واسعة الانتشار.

لقد أعطى الشيوخ الكرد إشارة بدء اندلاع الثورة الوطنية، وتناسى
الوطنيون الكرد خلافاتهم، وتخلّوا عن مناصبهم بشكل مثير للدهشة، إنهم
انخرطوا في (خوييون) المجلس الوطني الكردي، والذي كان المجلس الأعلى
الوحيد للتنسيق في الحكومة الكردية.

ولم يتردد زعماء القبائل الكرد العنيدون والأناثيون في تقديم دعمهم
من صميم قلوبهم إلى (خوييون)، ووضع زعماء آخرون كثيرون
إمكانياتهم تحت تصرف الحكومة الوطنية، وبدأ الشرق المستقر في التحرك

بسرعة نحو وعي الذات وتأكيدهما، وكان ذلك تهديداً خطيراً لكل من يهمله الأمر.

إن ملوك كوتيوم وكوردين (كوردائين) وفيسيروى كُوبارو Viceroy Gobaru⁽¹⁾، والسلطان صلاح الدين، وكريم خان زندي، والأمير بدرخان، وشهداء الكرد في العصر الحديث من أجل حرية الوطن؛ إن هؤلاء جميعاً سيبتهجون في قبورهم المبعّلة.

لقد أدرك القادة الكرد أنه في عالم التمركز الوطني الشديد والفوضى العالمية لم يعد النظام القبلي مقبولاً، وإذا استمر هذا النظام القديم فإنه سيؤدي إلى دمار الجميع. وينبغي أن نلاحظ أنه قبل نشوب الحرب بوقت طويل كان الانحلال القبلي قد بدأ لأسباب عديدة. ومنذ تشكيل الفرق الحميدية سنة (1891 م) بدأت الغيرة تزداد بين الزعماء القبليين الذين اختيروا لتجنيد هؤلاء الفرسان، وأولئك الذين لم يتم اختيارهم. إن قبيلة معينة، أو قبائل فرعية، كانت تتصل من الولاء فجأة، وتستقر في أية منطقة فيها جداول المياه والمراعي، وثمة أسباب عديدة كانت خلف هذه الانقسامات.

إن الحزن الشخصي، أو الاعتقاد بإمكانية تحقيق وجود مستقل في منطقة منفصلة من المنطقة القديمة، ربما كان هذا يشجع زعيماً جديداً للتجنيد في فرق الفرسان، وربما كان وراء ذلك أحياناً أحد الأبناء المغامرين غير المقتنعين بسلطات آبائهم، فيبدأ بالتمرد ويكرس زعامته،

¹ - لم أعرف المقصود بهذا الاسم - المترجم.

وربما كان ثمة زعيم ضعيف أو مسنّ عاجز لا يسيطر على القادة الطموحين في قبيلته والراغبين في وضع كل السلطات في أيديهم.

وفي مناطق أخرى كانت عملية تشتيت الشمل تسير قدماً إلى الأمام؛ إن زعيماً فرعياً قوياً لعشيرة صغيرة مثلاً ربما كان يختار لحظة مناسبة لمحاربة منافسيه أو جيرانه، ويجبرهم على القبول بسلطته، وهكذا سوف يكتسب سمعة كبيرة وقوة مرموقة، يرفع بها مجموعته إلى مرتبة القبائل الكبيرة.

وعلى أية حال من المحتمل أن تكون هذه التفاعلات الشخصية والتمردات قد انتهت الآن، فالحرب الكبيرة وخسائرها المريعة ونتائجها قد هزّت العرق الكردي حتى الصميم، وكان تأثير ذلك كله على فكره ثورياً، وبالرغم من العقبات السياسية الخطير في طريقه، فلا شيء كان يمكن أن يوقف زحفه القوي باتجاه تنفيذ مطامحه الوطنية المعتدلة.

والجدير بالذكر أن القادة الكرد واقعيون، يعرفون بالفطرة أن الحرية الوطنية الحقيقية لا تُمنح من قبل السلطة المطلقة، وإنما تُنتزع منها بقوة السلاح والتنظيم العالي، والدليل على أن القادة الكرد فهموا هذه الحقيقة هو نشوب ثلاث انتفاضات مسلّحة ضد تركيا منذ (1923 م).

4

الانتفاضة الثورية الكردية الأولى (1925 م)

قدّم أبناء الشعب الكردي للإمبراطورية العثمانية خدمات جلييلة؛ إنهم أراقوا دماءهم دفاعاً عنها، وزوّدوا رجال الدولة والضباط على الصعيد المدني بالعناصر اللازمة، وحدثت القطيعة بين العرقين الكردي والتركي ببطء شديد، وبمجرد أن أدرك الفريقان الثغرة الواسعة بينهما تسارعت الحركة واكتسبت زخماً قوياً.

وحيثما تقدّمت الجيوش الروسية نحو تركيا خلال (1915 - 1916 م) ألحّ رجال (تركيا الفتاة) على السلطان رشاد الخامس ليوقع وثيقة تنص على تهجير الشعب الكردي من جبهات الحرب في أرمينيا وكردستان، وإسكانهم بين الترك في الأناضول الغربية بنسبة (10) من الكرد إلى (100) من الترك، وأن يعلن الكرد ولاءهم العام للدولة، ويُرغموا على التكلم بالتركية، بحيث يصبح الجيل الكردي الثاني تركياً بشكل تام، وتتحقق أهداف سياسة التتريك.

ولامتصاص النقمة العامة نفى الأتراك في البداية مجموعة من النبلاء الكرد، واكتشفوا بدهشة عظيمة أن الكرد يكرهون تذويبهم مثل

الأرمن⁽¹⁾. إن سجلات مديرية الهجرة التركية في إستانبول توضّح أنه في سنة (1915 م) جرى تهجير حوالي (700000) سبعمئة ألف كردي من كردستان إلى الأناضول الغربية.

وفي سنة (1919 م) ركعت تركيا أمام الحلفاء مغلوبة مهزومة، وبدأ الترك يغزولون الكرد في مجالسهم وفي صحافتهم، وأعلنوا أن تركيا هي أرض آباء الترك والكرد على حد سواء، وأن لهذين الشعبين الحق في التحدث باسم البلاد، وقال الترك للقادة الكرد:

" تركيا في خطر كبير أن تتجزأ من قبل الحلفاء المنتصرين، وإن الأرمن واليونان يدعمون مطالبهم في شرقي وغربي الأراضي الكردية - التركية ".

ووعد الترك القادة الكرد بتسوية عادلة للمطامح الكردية الوطنية عندما تنتهي الأزمة، وعرفوا أن الجنرال شريف باشا موفد كردستان في مؤتمر السلام قد عرض قضيته، وأن هناك شروطاً في معاهدة سيفر لاستقلال محدود في كردستان.

ولكن في الوقت الذي نجح فيه الترك في فرض معاهدة سلام أخرى في لوزان على دول التحالف، وعلى القوى المشاركة سنة (1923 م)،

1 _ الحقيقة أن الترك لم يكتفوا خلال (1915 - 1918 م) بأن يقتلوا ويسلبوا الأمة الأرمنية، بل أرغموا ربع مليون من الشباب الأرمن من كلا الجنسين على أن ينكروا عقيدتهم ويصبحوا أتراكاً، إنهم جمعوا مئات الآلاف من الأطفال الأرمن اليتامى وجعلوهم تركاً، والآن يجب أن يحاسب الترك على هذا السلوك الهمجي - المؤلف.

غيّروا موقفهم تجاه الكرد حالاً، وتخلّوا عن كل هدنة أو وعد قطعوه خلال مرحلة ضعفهم (1918 - 1922 م)، إن حاملي الوثائق الأجنبي والمستغلين والباحثين عن النفط كانوا مشغولين في كل معسكر، وإن رسم الحدود الشمالية للعراق مع تركيا (نفط الموصل) تمّ قبل عصبة الأمم في جنيف.

وإزاء هذه الظروف لم يستطع القادة الكرد الوطنيون الوقوف بيأس، ومشاهدة المنازعات وراء الكواليس على ملكية الميراث الكردي والآشوري الذي كان ملكاً لهم طوال أربعين قرناً. وكانت مساحات شاسعة على جانبي الحدود السورية - التركية، والحدود العراقية - التركية، والحدود الفارسية - التركية، هي موطن الكرد المحبين للقتال والنشيطين الأقياء، وكان هؤلاء يشكلون خطراً حقيقياً في تركيا، وقد بُدلت جهود حثيثة لصهرهم.

وبما أن الكرد قد تحرروا من الأوهام، وباتوا غاضبين، فقد نظّم القادة الكرد حرباً ثورية ضد تركيا من أجل الاستقلال، ولولا حظهم العاثر لأحدثت تلك الحرب مشكلة كبيرة في تركيا التي كانت قد تحوّلت إلى جمهورية منذ عهد قريب. وبقيادة الشيخ سعيد من پيران، ونخبة من الضباط المحنكين، وتوافر مستودعات الذخيرة، تقرّر أن تبدأ انتفاضة كردية عارمة في الحادي والعشرين من آذار سنة (1925 م)، بهدف طرد الأتراك خارج كردستان.

ولكن أحبط الأتراك تلك الانتفاضة بفضل الجاسوسية النشطة، واستدعي الشيخ سعيد إلى القيادة التركية، وحينما ارتاب الشيخ سعيد

في نوايا الترك، وأهم يمارسون لعبة قذرة ضده، طلب من أتباعه الذين كانوا يضمون بضع مئات من الأقوياء أن ينتفضوا في السابع من آذار (1925 م) بدلاً من الحادي والعشرين من آذار كما كان مخططاً.

إن القوات الكردية لم تكن لديها لا البرقيات ولا المحطات اللاسلكية ليخبروا المقاتلين بالخطة الجديدة. وقد حرك الأتراك ثلاثة فيالق من الجيش ضد الكرد الذين حاربوا ببسالة، وخاصة أنهم عرفوا أن هذا القتال هو من أجل قضيتهم الوطنية، لقد ألحقوا بالأتراك هزائم كثيرة، وتقدموا في مدن أورفا وسويرك ودياربكر عاصمة كردستان، واحتلوا الجزء الجنوبي من هذه المدينة الأخيرة، وضغطوا على الأتراك في الأقاليم الجنوبية.

ورداً على ذلك عمد الترك إلى جلب فيلق جديد على سكة الحديد السورية التي كانت تحت الانتداب الفرنسي، وأرسلوه إلى مؤخرة القوات الكردية التي حوصرت بين نارين، وهكذا كان على الكرد أن يتخلوا عن مواقعهم، وينسحبوا إلى مواقع إستراتيجية. وامتد القتال إلى شمالي نهر دجلة وإلى شمالي جبل آارات الذي تشكل منحدراته قلعة حصينة، وتخذقت عناصر جيدة من القوات الكردية في الخطوط الأمامية في آارات، تحمي جناحيها- كما هي العادة- بالجمهوريتين الأرمنية والأذربيجانية.

وخلال سنة (1926 م) وجهت تركيا ضربة قاسية إلى جبهة آارات التي جعلها الكرد مقراً لأركان قواهم الوطنية، وجرى قصف متبادل ومواجهات عنيفة بين الطرفين خلال فترة (1927 - 1928

(م)، وأسر الكرد كثيراً من الضباط والجنود الترك، وسيطروا على البنادق وكل أنواع الإمدادات الحربية⁽¹⁾.

وفي أكتوبر/ تشرين أول (1927 م) اجتمع القادة الكرد ذوو العقائد والانتماءات السياسية المختلفة في مؤتمر خارج كردستان لتطوير ميثاق وطني، وأسفر هذا المؤتمر دون مشاحنات عن (خوييون) الصحيفة الوطنية الناطقة بلسان حال الحزب. وأعلن حزب خوييون بناء على ذلك استقلال كردستان في الثامن من أكتوبر/ تشرين أول (1927 م)، كما هو مرسوم في اتفاقية سيفر والمسماة بـ (كرد آفا) Kurd Ava، وحدث هذا في إقليم آكري داغ (آارات) باعتباره العاصمة المؤقتة لكردستان.

وعبر القرار عن مشاعر الشعب الكردي الودية تجاه فارس وأرمينيا والعراق وسوريا، وتصميمه على أن يشن حرباً ضروساً ضد الترك، إلى أن يتحرر التراب الكردي من قبضتهم، وأكد القرار أن الحرب بين الكرد والأتراك سوف يستمر حتى تتحقق أهداف الكرد.

إن الأمير جلادت بدرخان، والأمير كاميران بدرخان، وممدوح سليم بگ، وشاهين بگ، ومفكرين آخرين، عيّنوا أعضاء في اللجنة التنفيذية، وعيّنت هذه اللجنة إحسان نوري باشا⁽²⁾ قائداً للجيش الوطني

¹ - في أوائل سنة (1928 م) استخدم الأتراك القوى الجوية ضد القوات الكردية في جبهة آارات، وفقدوا طائرتين- المؤلف.

² - بعد سقوط ثورة آغري (آارات) لجأ القائد العسكري للثورة إحسان نوري باشا إلى إيران، وقُتل - رحمه الله - في طهران نتيجة حادث سير مشبوه، ولا أذكر السنة التي قُتل فيها- المؤلف.

الكردي، وكان هذا الضابط رومانسياً من الدرجة الأولى، وكان ضابط
أركان سابقاً في الجيش التركي أثناء الحرب العالمية الأولى، كم أنه كان
يعرف الأتراك الجمهوريين جيداً، ويدرك مصادر القوة ونقاط الضعف
عندهم، وأنهم منهكون تماماً.

5

الحرب الثورية الكردية الثانية (1930 - 1932 م)

إن حزب خوييون وقائد الجيش الكردي إحصان نوري باشا كانوا مصممين على أن يجازفوا بحياتهم في النضال للخلاص من الترك، لذلك لجأوا إلى كل وسيلة في أيديهم لإعداد قواتهم من أجل النضال للاستقلال عن تركيا، وبما أنهم تعلموا من فشل محاولتهم الأولى سنة (1929 م) فقد تقدّم حزب خوييون بحذر وحرص، وبذل كل الجهود الممكنة للتنسيق مع القبائل اللامبالية ومع الكرد القاطنين في المقاطعات المهجورة، فنال تعاطفهم، وفي بعض الأحيان استطاع تحقيق التعاون الفعّال مع الشعوب المجاورة التي كانت تتطلّع إلى أهداف مشابهة.

ولم تتوقف المصادمات المتفرقة طوال سنة (1929 م)، ولكن في ربيع (1930 م) انطلقت شرارة الحرب في قيادة أركان الكرد على جبل آارات، وانتشرت إلى أودية كثيرة من ولاية وان، وانخرطت فيها كل من ولايات بدليس ودياربكر وبوتان. وزجرت الصحف التركية مثل بنادقها وطائراتها طوال أشهر ضد "المتمردين الكرد" و"همجيتهم" حسب زعمها، بينما كانت القوى الأوربية العظمى التي نصّت على استقلال كردستان تبحث عن كلمات تعبر بها عن إعجابها بالجمهورية التركية.

وبدأً من سنة (1915 م) وما بعدها لجأ الأتراك الإصلاحيون إلى الإجراءات الشيطانية والوحشية التي قمعوا بها الأرمن واليونان، إنهم ارتكبوا مجازر للنساء والأطفال الكرد الأبرياء، وهجّروا الباقين إلى الأناضول الغربية، وأجبروا قبائل كاملة على ترك بيوتها وأوديتها الخضراء والصحية، لتزحف إلى السواحل المليئة بالملاّريا في الشرق الأوسط، واستعبدوا الفتيات والنساء والأطفال الذين كانوا في زهرة العمر بالآلاف، وكان الجوع والمرض والتعب مهيمناً على القوافل الطويلة لهذه الكائنات البشرية العاجزة، وإن أكوام الجثث والموتى كانت تملأ الخنادق على الطرق، ولم يصل حتى نصف هؤلاء التعساء إلى وجهتهم أحياء، فهذه هي الحضارة بالأسلوب التركي.

إن تفاصيل هذه الفظائع الوحشية التي ارتكبت بحق الكرد، وخاصة النساء والفتيات، ونشرتها صحيفة خوييون، مقزّزة للنفس، ولا تقبل النفس أن نذكرها هنا. إن تجريد السكان ودمار الأقاليم شرقي نهر الفرات، والذي بدأ سنة (1915 م) بقتل الأرمن وسلب ممتلكاتهم، أكمل تقريباً خلال سنوات (1925 - 1932 م) بقتل الكرد وسلبهم.

وخلال الثلاثينيات كان مراسلون أترك عديدون يكتبون من الأقاليم الشرقية إلى صحفهم في إستانبول عن الدمار الواسع الانتشار والخراب الذي عمّ، ومع ذلك فإن بريطانيا العظمى الحليف القديم لتركيا كانت ترغب أن تحافظ على الاستقلال السياسي لسيادة الأراضي التركية.

6

" درسيم لم تعد موجودة " الحرب الكردية الثالثة (1927 - 1928 م)

إن لامبالاة الأوربيين الذين كانوا يتنافسون على المنافع السياسية شجعت تركيا أتاتورك على أن تعتقد أن الفرصة مناسبة لتعزيز الحكم الجديد، وكان ثمة ما ينبغي أن قام به على امتدادات جبال درسيم، تلك المقاطعة الواقعة في المنعطف الكبير لنهر الفرات في أرمينيا الغربية⁽¹⁾، والمحاطة تقريباً من كل الجهات بقمم الجبال المغطاة بالثلوج، ومنها: جبل مرجان داغ (حوالي 11000 قدم)، وجبل منتسور داغ، وغيرهما.

إن درسيم كانت واحة من الحقول الخضراء، والوديان الظليلة، والغابات القديمة، والبساتين المزدهرة، وحتى سنة (1908 م) نادراً ما كانت معروفة للترك، إنها كانت تعيش حياة معزولة ومعتمدة على الزراعة وتربية القطعان وزراعة الكرمة، وسكانها الذين يبلغ عددهم (70000)

¹ - أوضحنا سابقاً الرؤية الإمبراطورية التي ينطلق منها الكاتب، وسائر القوميون الأرمن، حينما يعدون كثيراً من المناطق الكردية المتاخمة لأرمينيا جزءاً من أرمينيا الكبرى - المترجم.

سبعين ألفاً كانوا من القيزيل باش والأرمن والكرد⁽¹⁾، وكانت جاثمة على الهضاب الأرمنية العالية، وكانت مناظرها الخلابة مميّزة بالصدوع الزلزالية التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وربما لا يوجد في مكان آخر مثل هذه الأودية الطويلة والضيقة التي تعطف بين الجروف المعلقة والصخور العمودية.

ولم تقف أبداً معركة شد الحبل بين السلطات التركية وقبائل درسيم بخصوص الضرائب أو التجنيد، وفي هذه المرة لم تكن القبائل الكردية هي المبادرة، وإنما كانت تركيا هي الراغبة في أن تظهر كفاءة جيشها وإنجازات الجمهورية. وفي صيف (1937 م) احتل الترك ممرات درسيم، وطلبوا من عدد من الزعماء الكرد أن يستسلموا ويسيروا إلى أنقرة.

ومن هنا أصبح الصدام المسلح أمراً حتمياً، وكانت النتيجة أن زعماء درسيم انسحبوا مع شعبهم إلى الكهوف والجبال التي يتعذر الوصول إليها، كما كانت عادتهم لقرون كثيرة، ولم يستطع الترك أن يمارسوا تأثيراً كبيراً عليهم، فسدوا منافذ ومخارج الممرات الجبلية حتى ربيع (1938 م)، وشرعوا يقصفون القرى الجبلية والمخيمات.

1 - (القيزيل باش) لقب مذهبي أطلقه الترك منذ عهد الصراع العثماني - الصفوي على أتباع المذهب العلوي سواء أكانوا كرداً أم تركماناً، ويعني مصطلح (قيزيل باش) أصحاب الرؤوس الحمراء؛ لأنهم كانوا يتعمّمون بعمامات حمراء، والقيزيل باش كرد عريقون في كرديتهم، وهم من عشيرة دُنبلي، ويُعرفون باسم (زازا) أيضاً - المترجم.

وبعد أن تعذّر على شعب درسيم مقاومة القنابل التي لا ترحم استسلم الشيخ سيد رضا الذي كان يناهز عمره (82) عاماً مع نجله وأتباعه، فأقامت السلطات التركية لهم محاكمات هزلية، وأعدمت منهم اثني عشر زعيماً⁽¹⁾.

وطوال أسابيع عديدة أشادت الصحافة التركية بفتح درسيم، وغتت أنشودة النصر: " لم تعد درسيم موجودة ". أما القوى الأوروبية فقد ساعدت الترك، ذلك الشعب البدوي القادم من آسيا الوسطى، إنها ساعدتهم بالوسائل المادية وبالأسلحة؛ ليدمروا الشعوب الأصيلة مثل الكرد والآشوريين والأرمن، هذه الشعوب التي ظلت تعيش في أوطانها منذ (4000) أربعة آلاف سنة على الأقل.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى خدع الأوروبيون هذه الشعوب وخانوها، فانتهى بها الأمر إلى هذه النهاية المفجعة. إن قليلاً من الشرف والإحساس بالإنسانية، وكلمات معسولة قليلة، وقليلاً من المبررات الأخلاقية، كان سيحول دون وقوع مأس كثيرة.

¹ - كان الشيخ سيد رضا من الذين أعدموا- المترجم.

التوزيع السياسي للکرد

کردستان، في المصطلح السياسي المعاصر، تعبير جغرافي لنموذج مبهم، ولم يؤسس الكوتيون أو الكاشو أو البوتان في أي مكان من وطنهم التاريخي حكومة تحكم شعوبهم⁽¹⁾، هذا مع العلم أن العشائر المقيمة في هذه الأقاليم المذكورة كانت تحكم بشكل مطلق في مجالات كثيرة..

ونتيجة لمعاهدات السلام المعقودة بين سنتي (1920 - 1923 م) قُسمت أرض كردستان بين تركيا والعراق وإيران وسوريا، إضافة إلى أن حوالي (80000) ثمانين ألف كردي كانوا قد استقروا منذ وقت

¹ - لعل قصد الكاتب أن هذه الفروع من الشعب الكردي لم تؤسس حكومات تضم تحت لوائها جميع ربوع كردستان، وإلا فإن الكوتيين والكاشو والميتانيين كانوا أصحاب دول وحكومات معروفة في التاريخ أشار إليها الكاتب نفسه في الفصول الأولى من هذا الكتاب، هذا عدا أن الدولة الميمنية شملت كل أجزاء كردستان أكثر من نصف قرن من الزمان. ثم إن كردستان تعني (بلاد الكرد/ وطن الكرد) وإذا كانت الدول الإمبراطورية المجاورة لكردستان قد قضت على الدول الكردية منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، وحالت دون قيام دولة كردية على التراب الكردي في العصر الحديث، مستفيدة من السياسات العالمية، فإن ذلك لا يعني أن كردستان غير موجودة أو أنها جغرافيا مبهمة - المترجم.

طويل في الجمهوريات السوفياتية في أرمينيا وأذربيجان، أما قبل نشوب الحرب العالمية الأولى فكانت كردستان مقسّمة بين تركيا العثمانية وإيران الصفوية.

وبالرغم من جرائم الدولة العثمانية وسلبها المميتة فإنها كانت وحدة اقتصادية متكاملة، ترسّخت فيها العمليات التجارية المتبادلة خلال قرون عديدة، وكانت العشائر الكردية في سهول ما بين النهرين قد اعتادت أن تغادر ملاذاتها الشتوية في أوائل الربيع، وتعود بقطعانها إلى الوديان والمرتفعات في الشمال، حتى الأقاليم الجنوبية لبحيرة وان.

ولكن بعد سنة (1924 م)، حين رُسمت الحدود السياسية بين تركيا والعراق، لم تسمح السلطات التركية للسكان الكرد الرحّل أن يمارسوا حقوقهم الرعوية في المناطق الشمالية، وكذلك رفضت السلطات العراقية السماح للكرد من تركيا بالتحرك جنوباً.

إن هذا التمزق وآثاره الضارة على الحياة الاقتصادية، والمصادر الضئيلة للعشائر الكردية الرحّالة، لم تكن الأسباب الوحيدة التي دفعت الكرد إلى الاستماتة والقلق الدائم والثورة؛ إذ بالإضافة إلى هذه العوامل فإن الأتراك احتفظوا بأعداد كبيرة من الجنود على الحدود العراقية والسورية خلال الانتفاضات الكردية، وبذلك منعت العشائر الكردية وقطعانها من التنقل الحر بين المراعي.

وبالرغم من أن الحكومات ذات العلاقة بالأمر كانت حذرة للغاية في نشر أية معلومات بشأن الحقوق القديمة لعشائر الكردية في مراعيها،

فقد اتخذت بعض التدابير للسماح لبعض الكرد بالتحرك، ولكن تحت إجراءات معيّنة للسيطرة عليهم.

غير أن قضية كردستان السياسية، ومستقبل الشعب الكردي، بقيتا مشكلة ملحة من قبل الحكومات ذات العلاقة، وإن قوى التحالف التي دمرت الوحدة الاقتصادية لتركيا، وخذلت الشعب الكردي، تتحمل قسطها من المسؤولية في هذا الموضوع.

ويمكن التحقق من مصادر مسؤولة إلى حد ما من أنه لم يكن للقادة الكرد مطالب في الأرض ضد إيران، وبالرغم من الاتصال مع الحركات السياسية الحديثة في أذربيجان الإيرانية، فالتحالف الكبير لقبائل **مُوكري** و**بلباس** و**شيكاك** وغيرها من القبائل التي كانت تعيش في الجنوب والغرب من بحيرة أورميا، والتي كان لها تاريخ عظيم في الماضي، أعلنت استقلالها، واتخذت مدينة مهاباد في إقليم ساوجبولاك عاصمة لها⁽¹⁾.

إن التحالفات الكردية في العراق أنشأت نواة لمملكة الكوتيين القديمة، وتتضمن اليوم معظم العائلات الأرستقراطية القديمة من الشعب

1 - ليس واضحاً ما إذا كانت هذه الدولة كانت مستقلة، أو كانت إقليمياً مستقلاً ضمن إطار الدولة الإيرانية، أو ضمن أذربيجان الإيرانية. وإن التحالفات الكبيرة لقبائل اللور (في لورستان) وقبائل أردلان بمدينتها المركزية (سنداج)، والممتدة تقريباً من بوابات مدينة همذان، ومجموعات أصغر مثل قبائل سنجابي وكالخوري، وآخرين يسيطرون على الطريق الممتد من بغداد إلى كرمنشاه، تبدو وكأنها كانت جميعاً متحالفة ومتعاونة جداً مع حكومة طهران - المؤلف.

الكردي؛ مثل بابا زاده في السليمانية، وأفرومان⁽¹⁾، وسوران، وهماوئد، وجاف، والقبائل الأخرى الكثيرة التي تحمل الزمرة العامة لقبائل: گوران، وراوندي، وكله شين، والبارزانين القرييين من الحدود التركية.

وفي المنحدرات السفلى من جبل جودي، وحتى جزيرة ابن عُمر⁽²⁾ والحدود التركية، تعيش العشائر الست المعروفة في تاريخ بهلوي للملك الساساني أردشير بابكان بـ (هافتان بُخت)، وبالنسبة للقسم الجنوبي من أرض بابخي (بوتان = بوهتان) فهو مذكور بالتأكيد في حوليات ملوك آشور.

وقد بقي المجتمع الإيزدي الكبير في سنجار (الجبل المنعزل في الشمال الغربي من العراق) بعيداً عن النشاطات السياسية، وإن جميع الرحّالة الأوربيين الذين اتصلوا بالإيزديين في كردستان وأرمينيا، ما عدا فئة قليلة منهم، تحدّثوا بازدراء وانتقاص عن هذا الشعب الشجاع، والسبب في ذلك أن الرحّالة من ذوي الثقافة المتوسطة لم يمتلكوا المعرفة التاريخية الكافية لفهم قداسة العقائد الدينية القديمة جداً ودلالات طقوسهم.

1 - كذا. والأرجح أن الكاتب يقصد قبيلة هاورامان الكردية- المترجم.

2 - جزيرة بوتان- المترجم.

8

الکرد في سوريا ولبنان

من المستحيل أن نعرف من المصادر التاريخية أعداد الضباط والقادة الكرد الذين كانوا من أتباع السلطان صلاح الدين، أولئك الذين استقروا في دمشق وحلب وفي المدن السورية الأخرى بعد وفاة السلطان، وهناك أدلة من اللوحات المسمارية تؤكد أن العبيد ذوي البشرة الشقراء من گوتيوم كانوا يعملون في مدن العراق وسوريا⁽¹⁾ كمهنيين وبستانيين وخبازين وعتّالين.

ومنذ الاضطهاد التركي للعشائر الكردية تدفق بعض الكرد من تركيا إلى سوريا، حيث استوطنوا وعملوا مزارعين ورعاة ماشية على طول سكة حديد بغداد من الجانب السوري، وخاصة في الزاوية الشمالية الشرقية من العراق والجنوبية الشرقية من تركيا⁽²⁾.

1 - وفق التقسيمات السياسية الحديثة، وإلا فإنه لم تكن ثمة دول بهذين الاسمين في ذلك العهد، ولا ريب أن الدول التي تسلّطت على گوتيوم هي التي كانت تأسر الكوتيين، وتبيعهم كعبيد في البلدان المجاورة - المترجم.

2 - لا أدري كيف غاب عن الكاتب أن تركيا وسوريا دولتان حديثتا النشأة، وهما من نتاج تقسيم الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، وأن اتفاقية سايكس - بيكو الإنكليزية الفرنسية هي التي رسمت الحدود الحالية بين تركيا وسوريا. وكان الكرد قبل رسم هذه الحدود - وما زالوا - يعيشون على ترابهم

9

المشكلة الكردية في تركيا

من أغرب الظواهر السياسية العلمية أن كل بلد مجاور لتركيا له مطالب إقليمية صغيرة أو كبيرة في أرض (تركيا)، فإلى جانب مطالب دول البلقان ثمة مطالب دولية معينة لكل من السوريين والكرد والأرمن والجورجيين في أقاليم عديدة من (تركيا).

إن غوتيوم، وگوردیان [كوردوئين]، وكوردياتان، وآشور، وأرمينيا، وإيبيريا⁽¹⁾، وسوريا، كلها أسماء تاريخية ذات ماض متجدد، ولها

الوطني الذي يسمى (کردستان) أي بلاد الكرد، لكن اتفاقية سايكس - بيكو هي التي جعلت بعض الكرد ضمن النفوذ التركي، وجعلت بعضهم الآخر ضمن النفوذ السوري؛ ولذا فإن الكرد الذين كانوا ينتقلون من الجانب التركي إلى شمالي سوريا إنما كانوا ينتقلون ضمن تراهم الوطني (کردستان)، ولم يكونوا ينتقلون من أرض خاصة بالعرق التركي إلى أرض خاصة بالعرق العربي، وهذه حقيقة تاريخية، وأوضح دليل على ذلك أن الكرد يسكنون معظم المناطق على جانبي الحدود التركية - السورية، ثم إن سكانهم في هذه المناطق لا تعود إلى بداية القرن العشرين وعهد سايكس - بيكو فقط، وإنما تعود إلى قرون كثيرة سابقة - المترجم.

¹ - الاسم القديم لجورجيا - المترجم.

مناطق يمكن تحديدها بسهولة، ويعرفها كل طالب من خلال الآثار الإغريقية والرومانية. وكل شخص مثقف يستطيع أن يضع يده على ليديا، أو فريجيا، أو كابادوسيا (كابادوكيا)، وأن يتذكر بعض الأساطير والمعلومات عنها، في حين لا تحمل الأسماء الحالية لهذه الأقاليم أي معنى للأشخاص العاديين ولا للمواطنين الذين ولدوا هناك، ويعيشون فيها الآن.

إن المطالبين الأربعة بأراضيهم الوطنية – السوريون، الكرد، الأرمن، الجورجيون – مجتمعون على التأكيد بأن تركيا قوية وذات سيادة، وأنها دولة جارة ذات مكانة حيوية، وعندما تتلاقى مطالبهم المشروعة يستطيعون أن ينسّقوا العمل فيما بينهم، كما فعلوا طوال قرون في الماضي.

والكرد، من بين هؤلاء المطالبين الأربعة، هم وحدهم الذين ليس لهم دولة قومية، وليس لهم مركز وطني يتمركز فيه كل حبهم وطاقاتهم وولائهم ومواهبهم. إن القادة الوطنيين لحزب خويبون كانوا يرغبون في امتلاك زاوية صغيرة من أرض أجدادهم التاريخية، ليستطيعوا أن يمارسوا بحرية، ودون أية عرقلة أو تدخل خارجي، تعليم أولادهم بلغتهم الأم، ونشر كتبهم وصحفهم، وجمع ملاحمهم الشفوية وأغانيتهم وفولكلورهم الغني، ودراسة تاريخهم القديم والمعاصر، وتشكيل قوانينهم، وحكم أنفسهم بأنفسهم لما فيه منفعتهم.

فهل يستطيع أقوياء العالم أن ينكروا هذا الحد الأدنى من الحرية لهذا الشعب الكردي الشجاع النشط؟! لقد شاءت العناية الإلهية أن يستقر الكرد طوال أربعة آلاف عام في أراض مرتفعة ذات أهمية عالمية كبيرة،

وقد أثبت الكرد أن باستطاعتهم إثارة تعقيدات عالمية تنتشر وراء حدودهم.

ولم تسجّل إحصاءات سكانية دقيقة للكرد في تركيا؛ إن **غابرييل أفندي نغورا دونغان Gabriel Effendi Ngora Dunghian** الذي كان مستشاراً قانونياً مقرباً من الباب العالي، وسناتوراً (نائباً) ووزيراً للخارجية في تركيا خلال سنتي (1912 - 1913 م)، أخبرني أنه قبل سنة (1914 م) كان المبدأ التركي المتبع في تسجيل الإحصاءات هو إضافة (25%) إلى العدد الحقيقي للأتراك، ونقص (25%) من العدد الحقيقي للأجناس الأخرى غير التركية في الإمبراطورية. وسألته عن رأيه في الإحصاء الأول الذي نفذته تركيا الجمهورية سنة (1927 م)، فكان جوابه أن تركيا قد تكبّدت خسائر كبيرة سنة (1911 م) وسنة (1923 م)، لذا ضاعفوا عدد الأتراك هذه المرة، وأنقصوا عدد أجناس الأخرى بنسبة (50%).

وفي كتاب دقيق عن تركيا، نشره مستشار ألماني لوزير الداخلية التركي سنة (1915 م)، جاء أن الرقم الفعلي للسكان الكرد في الإمبراطورية العثمانية كما سجّل هو (800000) ثمانمائة ألف نسمة، وهذا الرقم منخفض حقاً عندما نعلم أن الأعداد الكردية الكبيرة في كل من العراق وسوريا مشمولة أيضاً. وبعد عمليات الترحيل القسري وارتكاب المجازر وحلول المآسي في أعقاب الانتفاضات الثورية، يبدو من الصعب جداً أن نعطي رقماً صحيحاً لعدد الكرد على وجه التقريب.

إن وكالة عصبة الأمم التي أعلنت رسمياً سنة (1925 م)، أثناء النزاع على حدود الموصل، قدّمت الأرقام الآتية عن العدد الكامل للكرد:

- في تركيا: 1500000 مليون وخمسمئة ألف نسمة.
- في إيران: 700000 سبعمئة ألف نسمة.
- في العراق: 500000 خمسمئة ألف نسمة.
- في سوريا والأماكن الأخرى: 300000 ثلاثمئة ألف نسمة⁽¹⁾.

المجموع : 3000000 ثلاثة ملايين.

ولا ينبغي أن ننسى المجازر وحملات الترحيل القسري الجماعي للشعب الكردي التي حصلت خلال انتفاضات سنة (1925 م)، والتي حصلت على نطاق أوسع خلال سنوات (1930 - 1932 م).

¹ - لم تجر منذ تكوين الدول القومية الجديدة (تركيا، إيران، العراق، سوريا) أية إحصائية دقيقة لأعداد الكرد التابعين لهذه الدول، وطبقاً للتقديرات الخاصة بنسبة تزايد عدد السكان في شرقي المتوسط فإن عدد الكرد لا يقل عن حوالي ثلاثين مليوناً، ويقدره بعض الكرد بما يتراوح بين خمسة وثلاثين وأربعين مليوناً، بمن فيهم الكرد الذين يعيشون في المناطق والمدن التركية والإيرانية والعراقية والسورية غير الكردية- المترجم.

10

الكرد وراء القوقاز

يوجد حوالي (80000) ثمانين ألف كردي وإيزدي⁽¹⁾ في الجمهوريات السوفياتية الثلاث وراء القوقاز، والعدد الأكبر منهم موجود في أرمينيا، حيث يرعون مواشهم على جبال ألاغيز Alaghiaz وفي الأودية المجاورة. وفي سنة (1927 م) أعدت لهم أبجدية خاصة بأحرف لاتينية قابلة لنقل صوتيات اللغة الكردية، وأنشئت لهم مدرسة تدريب في

¹ - درج بعض الباحثين، ومنهم الكاتب، على الإيحاء بأن الإيزديين ليسوا كرداً، وذلك من خلال قولهم (الكرد والإيزديون!)، وكأن الإيزديين ليسوا كرداً، وهذا وهم كبير، فالإيزديون كرد عريقون في كرديتهم، بل إن تمسكهم بالديانة الإيزدية حال دون تراوجهم مع الشعوب المجاورة للكرد، فجعلهم في النتيجة أكثر تعبيراً عن الأصالة الكردية إثنولوجياً وثقافياً - المترجم.

يريفان عاصمة أرمينيا، ولهم مدارسهم الخاصة ومعلموهم ومسارحهم ونواديهم الرياضية.

وحديثاً قام المؤلفون الكرد بتحويل القصائد الملحمية الكردية إلى مسرحيات مثل ملحمة (مَمّ وزين) Mam U Zin تُقدّم على المسارح، وبُذلت المساعي لجمع كل الفولكلور الكردي، مع مئات الأغاني والقصائد والحكم، وقصص الحيوانات، والأمثال الشعبية. وتُستعمل الكتابة اللاتينية أيضاً للمنشورات الكردية في سوريا، بينما تُستعمل الأبجدية العربية عند الكرد في العراق وإيران.

11

علم الأعراق البشرية (الإثنولوجيا) ومزاج الشعب الكردي

وجّه الشيخ عبيد الله فهري، الذي كان زعيماً دينياً رفيع المقام، خطاباً إلى القنصلية البريطانية سنة (1880 م)، وتحدّث عن الحقائق المتعلقة بديانة الكرد وبالعرق الكردي؛ لقد كتب الشيخ يقول:

" الشعب الكردي له خصوصيته، ديانته مختلفة عن ديانة الآخرين، وقوانينه وعاداته متميّزة...".

ولو أن الشيخ كتب تصريحاً علنياً فيما يتعلق بديانة الكرد لأكد أنهم مسلمون، ومذهبهم سنّي، وأهمّ متديّنون جداً، وهذا صحيح إلى حد ما فيما يتعلق ببعض العشائر الكردية التي لها صلة وثيقة بالعرب في الجنوب. وما عدا ذلك فإن الكرد بشكل عام غير متزمّتين في قضايا العقيدة الدينية والعبادة، وثمة كرد كثيرون يشاركون شكلياً في الصلوات العامة والواجبات الدينية، وكثيرون منهم يزورون المزارات، ويقدمون النذر والأضاحي أيضاً.

وفي قضايا الدين والولاء يجب أن تميّز بشكل واضح بين الكرد الذين يعيشون في المدن حيث توجد المساجد، وبين الرّحل أو الذين يعيشون في القرى. وحينما كانت السلطة التركية في أوج قوتها وحتى الثلاثينيات من القرن الماضي⁽¹⁾ كان كثيرون من زعماء الكرد يذهبون إلى الحج في مكة، ويتعلمون القرآن باللغة العربية، ولكن في اللحظة التي ضعفت فيها كل من تركيا وإيران، وطلبتا الحماية من القوى المسيحية تلاشى ذلك الحافز.

إن ظهور الحماس الديني عند الكرد وغيابه، والمجاهرة بالطائفية، كانا تبعاً لمواقعهم الجغرافية وظروفهم التاريخية، وما كان الدين عندهم يتشكل في قوالب وصيغ جامدة، إن فكرة الله القادر على كل شيء عميقة الجذور في نفوسهم، وهذا الاعتقاد شائع عند جميع الكرد.

ومن وجهة نظر الدين والطقوس فإن الإيزديين مختلفون تماماً عن الكرد؛ إذ لديهم كتبهم المقدسة بالعربية والكردية، ونظراً للمجازر المستمرة التي ارتكبت بحقهم، والاضطهاد الذي حلّ بهم من قبل الترك، لا توجد طبعات معتمدة وموثقة من كتبهم إلى الآن، هذا مع أنه جرت محاولات لترجمتها إلى اللغات الأوروبية. والحق أن طبيعة عبادتهم وأسرار طقوسهم ليست بسيطة كما توصف عادة، ومن الخطأ أن نسميهم (عبدة الشيطان) دون فهم الأسرار التي تشكل عقيدتهم.

¹ - القرن التاسع عشر - المترجم.

ولا يخفى أن الاكتشافات الأثرية خلال الثلاثين سنة الماضية ألفت الضوء على أسماء، هي ليست لدول وأقطار منسية فقط، بل هي لأجناس قديمة أيضاً، وأثارت هذه الاكتشافات مشاكل أكبر من أن تُحل؛ فتنوع النماذج الجسمانية المرسومة على النصب التذكارية والآثار القديمة في الشرق القديم تبدو في يومنا هذا متمثلة في المناطق نفسها. وبالرغم من هذه الحقائق فإن تنوع الأشكال بين العشائر الكردية يبدو مدهشاً.

وطبقاً لعلماء الأنثروبولوجيا⁽¹⁾ فإن هذا الشكل قد ساد بدءاً من إيجيان⁽²⁾ وانتهاءً إلى زاغروس، ومن القوقاز وبحر قزوين شمالاً إلى الخليج الفارسي، كما أنه مثال تاريخي قديم للحثيين، والخوريانيين⁽³⁾، والميتانيين، والگوتيين والعيلاميين، وربما السومريين أيضاً، وباستثناء الشعب الأخير فهؤلاء يعتبرون أقدم الشعوب الآرية، وكانوا يحاربون إلى جانب طبقة النبلاء في المراكب الحربية، ويقاتلون بالفؤوس الحربية. ولسوء الحظ فإن القليل يُعرف عن عاداتهم ودياناتهم القديمة، لأن الأرض الأرمنية والكردية لم تكشف بعد عن كل آثارها القديمة.

1 - علم الإناسة - المترجم.

2 - الأرجح أن الكاتب يريد شواطئ بحر إيجه في آسيا الصغرى - المترجم.

3 - الحوريون - المترجم.

12

تطور الكرد وإمكانيات النجاح

إن تأثيرات الحوادث المثيرة خلال الثلاثين سنة الماضية على الكرد (تفكيرهم السياسي، إضافة إلى الظروف الاجتماعية تماماً كما هو الأمر عند الأمم الأخرى في آسيا الصغرى) كانت جذرية بالمعنى الحرفي للكلمة. ويمكن القول بأن هذه التغييرات الأساسية لم يتمّ تقويمها وإدراكها بشكل كامل من قبل الغرباء عن المجتمع الكردي.

فقد انتقل الكرد من مستوى الخصومات والانقسامات العشائرية إلى مستوى الوعي القومي والتماسك القومي اللذين ما كانا موجودين قبل جيل، إن أي نداء وطني من أي ممثل كردي أصبح يلقى استجابة سريعة، وعلى الصعيد الشكلي لا تبدو الحركة الكردية مترابطة على نحو كاف، ولكن من الخطأ الاستخفاف بقدراتها وطاقاتها الكامنة.

إن عادات الكرد القديمة وأخلاقهم البدائية وُصفت بسخرية من قبل كثيرين من الرحالة، وربما تستمر تلك الحالة بين الكرد الذين يسكنون الأقاليم البعيدة وغير المتطورة في أعالي الجبال، مثلما كانت عليه الحال في البلدان المتمدنة منذ قرن مضى، غير أن المثقفين الكرد أثبتوا جدارتهم في كل فروع النشاط الإنساني. والحقيقة الهامة التي يجب ألا نغفل عنها فيما يتعلق بالكرد هي عيشهم طوال قرون تحت أشد الظروف عدائية، وصمودهم للشدائد التي واجهتهم.

فاليوم لا يوجد شعب يُدعى (الحيثيون) أو (العيلاميون) أو (الساسانيون)، ولكن يوجد شعب يدعى (الكردي)، وهم ما زالوا يعيشون في المنطقة الجغرافية نفسها التي كان يسكنها الكرد الكوتيون منذ (4000) أربعة آلاف سنة مضت.

والكرد اليوم كما كانوا في السابق شعب ذوو نفوس مبتهجة، وهم أصحاء جسمياً وروحياً، وخالون تماماً من أي أثر للعُصاب، ويهتم الكردي العادي بالآلات، ويرع في المهن والصناعات، ويستطيع أن يتغلب بسهولة على تفاصيل أية مشكلة.

وطوال قرون حافظ الكردي على نفسه بالحِراب والأقواس والمقاليع والسيوف، هذه الأسلحة التي كانت تُظهر شجاعته الشخصية في الأزمنة القديمة، وهو واثق بأنه سيتمكن من التعامل مع الطيران أو الكيمياء كالشعوب الأخرى.

أما النساء الكرديات فهن طبيعيات وبسيطات ويتمسكن بالأخلاق إلى حد كبير، وبالرغم من أنهن لسن ناعمات من منظور الذوق الحضاري الأوربي، إلا أن الجمال الجسدي علامة متميزة لهن تماماً، وإن أنواع السجاد الجميل، والملابس والمطرزات التي يصنعنها سوف تقودهن مستقبلاً إلى مهن أرقى عندما يتتقنن، وهن مثل رجالهن حساسات جداً، ومرهفات السمع للموسيقا والشعر.

وفي الزُوزان⁽¹⁾ الذي يسكنه رجال قبيلة جَبْران، على سفح جبل بِنْعُول داغ (بين أرضروم ومُوش)، شاهدت منظرًا غريباً في إحدى الليالي

1 - زوزان هو المرعى الجبلي الذي يرتاده الكرد بقطعاهم صيفاً- المترجم.

المقمرة؛ كان ثمة شاعر كردي يروي وينشد قصة حب، يحارب فيها شاب بيد واحدة ثلاثة عشر مهاجماً من أجل الدفاع عن عروسه الموعودة، وبعد أن أطلق رصاصته الأخيرة، وأصيب بجروح كثيرة، استلّ خنجره، وبكلمات مشجّعة راح يخاطب عروسه التي انخبت عليه لتداوي جراحه، وعند هذا الموقف ارتفع صوت الشاعر، وأنشد الكلمات بحماس كبير، وفي الحال تأثر حوالي ثلاثين رجلاً وامرأة كانوا في الخيمة، وأجهشوا بالبكاء.

وفي الحقيقة لا يوجد شيء في العالم لم يتعلّمه الكرد بذكاء وبسرعة مثل جيرانهم الآخرين، وهذا الاستعداد الفطري للتعلم عند الكرد سيدفعهم إلى عدم الرضا السياسي أكثر فأكثر، ولا سيما عندما يرون وطنهم مقسماً بين الجيران الذين يُنكرون عليهم حقوقهم الوطنية حتى في الحكم الذاتي، وهنا تكمن مادة قابلة للانفجار في شرايين آسيا الغربية.

ويتكلم الكرد لغة آرية، وثمة كلمات كثيرة في لغتهم لها جذور في الكلمات الهندو-أوربية، وقد نادى حزب خوييون سنة (1927 م) باستقلال كردستان، واتخذ دياربكر (آمد) عاصمة لها.

وهذا اختيار معقول؛ إذ طبقاً للتوزيع الحالي للشعب الكردي تعدّ دياربكر مدينة مركزية، فالشعب الكردي يسكن المناطق المحيطة بمملّطة، وفي الفرات الأوسط، وفي الأقاليم المحيطة به، وفي أعالي سلسلة جبال طوروس، وفي منحدراتها على كلا الجانبين، وعلى شواطئ دجلة حتى جزيرة ابن عمر، وفي المناطق التي قامت فيها كل من مملكتي كوتيوم وكاشو القديمتين، واللّتين سمّيتا في العصور الوسيطة باسم (شَهْرُزُور).

وقد رسمت معاهدة سيفر سنة (1920 م) حدود كردستان بشكل صحيح، طبقاً للحقائق العرقية والاقتصادية الحالية. وتاريخ العالم هو حكم العالم، وإن تاريخ أربعين قرناً، ورجولةً نشيطة، تدعمها مصادر طبيعية وفيرة، يجعل من الصعوبة بمكان توقّع أن يقتنع الشعب الكردي بهذه الظروف السيئة التي يجد فيها نفسه اليوم.

إن الكرد يعرفون أن جذورهم راسخة في تراثهم الوطني، وأن ذلك معروف دولياً، رغم أنه كنت توجد في غربي كردستان وفي شرقها إمبراطوريات كانت، خلال أجيال عديدة، السبب في خلق مشاكل سياسية ونفسية معقدة للشعب الكردي.

إن بلداً مهماً مثل كردستان جدير باهتمام كبير، وإن شعباً أصيلاً مثل الشعب الكردي يستحق معاملة أفضل مما يلقاه، وإن تاريخ الكرد القديم والحديث يؤكد أنه باستطاعتهم أن يقتحموا المخاطر عندما يجدون أن القتال من أجل حقوقهم السياسية الوطنية، في ظل الظروف العالمية الحالية، يمكن أن يجد أصداء وراء حدود آسيا الغربية.

الملاحق

ملاحق الفصل الثاني

1- كرد وكورت:

بالنسبة لموقف الإمبراطوريتين المتجاورتين (التركية والفارسية) حيال الشعب الكردي لم يكن يوجد تفسير أفضل من اللعب بالألفاظ على الاسم العرقي للکرد. وبالصدفة العجيبة فإن كلمة كورت Koort تعني الذئب في اللغة التركية وفي اللغة الإيرانية الحديثة. ولم يفشل العلماء الباحثون في أصول اللغات، وفي تاريخ كلا الإمبراطوريتين، أن يكتشفوا التماثل بين كلمة (كُورت) والاسم العام للکرد. والحق أن هذه النظرية مزيفة تماماً، ومع ذلك فإن هذا المصطلح المزيف يلخص نظرية سياسية متفقة مع الممارسات الفعلية.

وأحد أسباب استبعاد هذه الفرضية المبنية على التماثل بين (كُورت) التركية والإيرانية وكلمة (كُرد) يكمن في أن كردستان (كوتيوم) كانت مملكة مستقلة حوالي ألفي سنة قبل أن يكون للفرس أو الترك وجود حضاري في المنطقة، وهذا دليل تاريخي يؤكد أن التفسير المذكور للاسم الكردي القومي (کرد) مزيف تماماً. ولعل الفكرة من وراء هذا التفسير

لاسم الكرد هي التعبير عن الخوف والكراهية التي تكثها الإمبراطوريتان المجاورتان تجاه الشعب الكردي المتحصن في جباله المنيع⁽¹⁾.

2- الموقع التقريبي لگوتیوم:

يمكننا أن نستدل على الموقع الجغرافي التقريبي لأرض گوتیوم من المصادر السومرية والأكادية الكثيرة الغامضة، أو من الكتابات المسمارية البابلية، وتأتي صعوبة تحديد موقع مملكة گوتیوم من الأسماء الكثيرة التي أطلقت على الجبال التي كان السومريون الأوائل يعرفونها على أنها گوتیوم. ويمكننا افتراض أن جغرافية گوتیوم أصبحت معروفة على نحو

¹ - المشهور أن كلمة (كورد) في الفهلوية أو الفارسية القديمة تعني (بطل، شجاع، صنيدي). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لقد نشأت أسماء معظم الشعوب - ولا سيما العريقة منها مثل الكرد- في طور تاريخي قديم جداً مختلف بمفرداته اللغوية وثقافته عن العصور الحديثة. وترجع بعض تلك الأسماء إلى أصول عفا عليها الزمن، أو ترجع إلى دلالات ميثولوجية قديمة لم تعد معروفة الآن، أو أن التسميات التي أطلقتها الشعوب المجاورة أو الشعوب الغازية - خاصة إذا كانت إمبراطورية - هي التي راجت وشاعت في المصادر التاريخية.

لذلك ليس من الموضوعية اعتماد دلالات اسم شعب في لغات شعوب أخرى مدخلاً للنيل من أصالة وكرامة ذلك الشعب. وحسي في هذا المجال أن أذكر مثلاً واحداً: فالكرد القدماء كانوا يسمون العرب (التازيين)، وتعني كلمة (تازي) في اللغة الكردية: (العاري). فهل من الموضوعية أن يعرف الكرد جيرانهم العرب من خلال دلالة هذه الكلمة في اللغة الكردية - المترجم.

أكثر مع الهجوم الذي بدأه الملوك العظام لكل من أكّاد وبابل ضد المناطق الجبلية الواقعة في شرقي دجلة.

ولا يمكن معرفة علاقة أراضي مارخاشي Markhashi وكاشو Kashshu، ولولوبي Lulubi وزاموا Zamwa بأرض كوتيوم. ومن الواضح أن ثمة العديد من التداخلات التي لا يمكن تمييزها بدقة في المرحلة الحالية من البحث، وتتجلى هذه المعرفة الناقصة بالممالك القديمة في كتابات شاروكين (سرجون)، الملك الأول ومؤسس مملكة أكّاد حوالي سنة (2050 ق.م).

وكمحاولة أولى لرسم خريطة للعالم قام بها علماء عظام، مثل: إ. فورر، أ. هـ. سايس، سدي سميث، أ. أونغاد، وآخرون كثيرون، ناقشوا أقدم خريطة للعالم من جهات نظر عديدة، يظهر أن معرفة شاروكين بجغرافية الأقطار التي يذكرها لم تكن صحيحة؛ إنه ينسب إلى مملكة أكّاد منطقة بـ (180) ساعة مضاعفة، وهذا ما لا يمكن أن يتطابق مع الواقع، إن شاروكين يعطي امتداد الطرق (الامتداد الجغرافي) لأقطار عديدة، يدّعي أنها خضعت له، حسب الترتيب التالي:

1 - أرض مارخاشي Markhashi (غربي ميديا): طول

الطريق (40) ساعة مضاعفة = حوالي (425) كم.2.

2 - أرض تُوكريش Tukrish: طول الطريق (50) ساعة

مضاعفة = (640) كم.2.

3 - أرض عيلام Elam: طول الطريق (90) ساعة مضاعفة

= (960) كم.2.

4 - أرض أكّاد Akkad: طول الطريق (120) ساعة

مضاعفة = (1920) كم.2.

5 - أرض سوبارتو Subartu: طول الطريق (180) ساعة

مضاعفة = (1280) كم.2.

6 - أرض آشسي Ashsi (الآشوريين): طول الطريق

(120) ساعة مضاعفة = (1280) كم.2.

7 - أرض لولوبي- توروكي Lulubi- turukki: طول

الطريق (90) ساعة مضاعفة = (1280) كم.2.

8 - أرض أنزان Anzan : طول الطريق (90) ساعة

مضاعفة = (960) كم.2.

ونلاحظ هنا أن اسم گوتيوم لم يرد في قائمة الأقطار التي عدّها شاروكين أهم ممالك عصره، لذا يسود الاعتقاد بأن گوتيوم مدرجة ضمن واحدة من الأسماء المذكورة أعلاه، ومن المحتمل أن تكون مع آشور أو لولوبي توروكي. وكذلك لا يوجد لگوتيوم ذكر في مخطوطات الملك نارام سين ملك أكاد، الخليفة الثالث لشاروكين، ويسجل نارام سين حملته الظافرة ضد ائتلاف سبعة ممالك ممتدة من الخليج الفارسي على أرمينيا وبلاد الحثيين في وسط آسيا الصغرى.

3- أخطاء النقوش المتعلقة بالکرد - كورتيه - كورتي:

من المناسب هنا أن نصحّ خطأ ورد في دراسات النقوش، وسبب اضطراباً كبيراً في الصورة الإثنوغرافية (العرقية) لهذا الشعب الآسيوي

خلال فترة الخمسينيات من القرن الماضي⁽¹⁾؛ فقد أصدر السير هنري رولنسون، الذي فكّ الرموز المسمارية، خمس مجلدات للكتابة المسمارية، تلك التي عشر عليها في مواقع عديدة للآشوريين القدامى.

وقد اعتاد المحللون أن يخطئوا في مجموعة محددة من الرموز المسمارية، مثل كور- تي Kur- ti، اسم الأرض التي كانت تشمل حقاً معظم أرمينيا الشرقية. والتشابه اللافت لهذا الاسم المقروء خطأ مع كرد Kurd يبدو كأنه قد يبرّر تفسيرات كل أولئك الذين رغبوا في إثبات أن منطقة بحيرة وان هي كورتي Kurti، وعلى أية حال فقد صوّب إ. فورر E. Forrer هذا الخطأ سنة (1928م)⁽²⁾.

4- الملوك الكوتيون لأكاد وبابل:

اكتُشف أسماء عشرين من الملوك الكوتيين في مجموعات لوحات عديدة، إن بعض تلك الأسماء فُقدت كلياً، وبعضها الآخر وُجد جزئياً. والقيمة العظيمة لهذه الأسماء الكوتية تكمن في أصالتها المتميزة، أسماء ملوك مثل إمبيا Imbia، وإنغشيو Ingishu، ووورلاغابا warlagaba، وإيار لاغاش Jar lagash، وآرغالان Argalan، وتيركان Tirkan... إلخ. إنها أسماء فريدة عبر ذلك المدى الطويل للحضارة الشرقية القديمة، وعلى الأقل في حدود المخطوطات التي نشرت إلى الآن.

¹ - القرن التاسع عشر- المترجم.

² - مرة أخرى يحاول الكاتب التذليل على أن المناطق الكردية المتاخمة لأرمينيا هي أرمينية، واستبعاد الأدلة التي تؤكد أنها كردية- المترجم.

وأحد هؤلاء الملوك الكوتيين الذين حكموا بابل يدعى **لازيراب** Lasirab، وهو اسم متميّز، وقد وُجد على نصب حجري جميل في معبد المدينة البابلية سيبار Sippar، وبما أنهم لم يكونوا يمتلكون خطاً خاصاً بهم فقد كتب **لازيراب** باللهجة البابلية، وهو يذكر آلهة الكوتيين إضافة إلى إلهة السومريين إينيني Innini، وقد سميت فيما بعد نانا، Nana = أنهايتا Anahita، وإله القمر سين Sin.

5- الكاشيون:

أسماء الملوك الكاشيين: غانداش Gandash، آغوم Agom، كاشتيلياش Kashtiliash، وخراب - شيباك Shipak - Khrabe ... إلخ، إنها أسماء كاشية مميّزة ومختلفة تماماً عن الأسماء السومرية والأكدية، مثلها في ذلك مثل الأسماء الكوتية. وقبل ذلك بوقت طويل كان الكاشيون قد استقروا في مدن بابل السهلية بوصفهم عمالاً وتجاراً، وكان على السلالة البابلية الأولى ليس أن تواجه فقط الكاشيين القساة في التلال الشرقية، بل كان عليهم أيضاً مواجهة السومريين القادمين من الجنوب حتى الربع الأول من القرن السابع عشر قبل الميلاد. ويبدو أن الحثيين Hitties الذين قدموا من آسيا الصغرى على طول نهر الفرات سهّلوا مهمة الكاشيين في حكم بابل.

6- المواقع المذكورة في نقوش الملك توكوليتي - نينورتا الأول:

إن بعض تلك النقوش تبدو واضحة، وهي كالآتي:

أ - جبال طول سينا Sina - Tul تبدو مطابقة للإقليم الفارسي الحالي أردلان المتمثل بگوتيوم من الشرق مع المدينة المركزية

سنه Sine = Senne كما هي اليوم. وإن بعض أقدم العائلات الكردية، وبعض أقوى القبائل الكردية، ما تزال تسكن أردلان منذ عصور سحيقة.

ب - مدينة ساسيلي Sasili أو شاسيلي Shasili تبدو مثل مدينة جمجمال Chamchamal الواقعة على بعد (70) سبعين كيلو متراً شرقي بغداد، على الطريق الرئيسي من أرابجا (كركوك) إلى السليمانية، والتي يمكن اعتبارها عاصمة كوتيوم.

ج - أرض زوكوشكي Zukushki ، الاسم الذي يخفي الاسم الحقيقي لزاغروس، وهي سلسلة الجبال التي تمتد من بلاد فارس الجنوبية الغربية إلى طوروس الأرمينية.

د - لعل لالار Lalar يمكن أن تتطابق مع گولار Gular الآشورية الأخيرة، وتدعى اليوم گولار داغ، وهي تشكل الحدود بين بيشداد وارانبا. وفي الحوليات المسمارية التي تعود إلى عهد ملوك آشور المتأخرين الذين خاضوا الحروب ضد الكوتيين أو العشائر الجبلية الكاشية، أسماء لأمكنة يمكن أن تتطابق مع أسماء المدن والقرى الحالية في كردستان الواقعة شرقي دجلة، كالأمثلة القليلة المذكورة أعلاه، وهي تثبت أن الوطن الأصلي للشعب الكردي يقع شمال وشمال شرقي بابل مباشرة.

7- الأسماء الآشورية المرتبطة بكوتيوم:

نادراً ما تبدو أسماء المواقع الكردية في السجلات لقرون متعاقبة كثيرة، وبدلاً من ذلك يذكر الملوك الآشوريون أرض لولوبي Lulubi،

والأسماء الجديدة لزاموا Zamw ، وأسماء أخرى تتطابق مع مواقع الكوتيين القدامى، ويمكن تحديد هذه المواقع في الوقت الحاضر على نحو تقريبي.

8- موقع بابيت Babit:

إن موقع بابيت متطابق مع بازيان Bazian، وهو اليوم جبل وواد يقعان في شمال وشمال شرقي مدينة السليمانية، وهذه المنطقة مسكونة بقبيلتين كرديتين، هما قبيلة (هماوند) وقبيلة (جاف).

وإن اسم نور – أداد Nor-adad يبدو وكأنه النموذج الأصلي لاسم (نور الدين)، وهو اسم شائع بين العرب والكرد، وإن قبيلة هماوند طردت الجيوش التركية مراراً، وفتكت بهم فتكاً ذريعاً، ويبدو أنهم الخلفاء الحقيقيون لأسلافهم من أيام الملك الآشوري آشورنا تسيرابلي الثاني (885 – 859 ق.م).

9- الكرد والميديون:

من بين الخدمات الجليلة التي قدّمها المؤرخ الإغريقي هيرودوت في مجال التعريف بالشرق القديم ما يمكن أن يوصف بخدمة الدب؛ فقد كرر على نحو رتيب ذكر اللفظ العرقي (ميديا) والإمبراطورية الميديّة، إلى درجة تشويش الحقائق التاريخية الكبرى التي كشف عنها الباحثون حديثاً. ومع ذلك فإن هيرودوت لا يلام على سوء فهمه لهذه التركيبة العرقية المعقدة في آسيا الوسطى، أو يبدو أن هذا الخطأ نشأ في العهود البابليّة الأولى، فأصبحت القبائل الكردية تعدّ إلى يومنا هذا أحلافاً للميديين، ذلك الشعب الأسطوري الذي عزا إليه الإغريق وكتاب العهد القديم إمبراطورية عظيمة.

إن المعلومات المعاصرة الدقيقة، والمستقاة من مصادر مسمارية لأمم كثيرة، أثبتت أن اسم (مادا) Mada الذي يطلق على شعب هو اسم مغلو ط منذ عصور قديمة، كما أن ميديا الأسطورية المصوّرة من قبل كتاب الإغريق الكلاسيكيين تُلقَى غمامة قائمة على كل تاريخ أرمينيا وعلى التاريخ الكردي.

وسوف أناقش هذه المشكلة قريباً في مقدمة لتاريخ أرمينيا، فبعض النصوص السومرية- فيما يتعلق بالمفردات وتركيب الجمل- والتي نشرها البروفيسور إ. تشيرا I.Cheira، وشرحها أونغاند Ungand، تُبيّن أن السومريين استعملوا كلمة (مادا) كمرادف للأرض أو البلد، مثل **مادا** **گوتيوم** التي تعني أرض گوتيوم، و**مادا** **عیلام** التي تعني أرض عیلام. وحينما اقتبس البابليون من الموروث السومري طوال مئات السنين فقدوا المعنى الأصلي للكلمة، واعتقدوا أن (مادا) أرض معيّنة، أو شعب معيّن، وهم لم يستطيعوا تحديدها أبداً.

وفيما بعد ورث الآشوريون هذه التسمية من البابليين، وورثها الفرس والإغريق من الآشوريين، وورثه الموروث الكلاسيكي الأوربي من الإغريق. والحقيقة أن هناك مادات (جمع مادا) كثيرة في فارس الوسطى، لكن لم تكن ثمة أرض معيّنة تدعى (ميديا)، فمدن همذان (إكباتانا)، وسلطان آباد، وقزوين، وراجي، ومدن أخرى كثيرة في بلاد فارس الوسطى والشمالية، وغربي صحراء الملح، كانت محكومة دائماً من قبل عائلات أصلية أو خانات، وهناك دليل على أن ظروفًا مشابهة كانت

تسود في أيام سومر وأكاد، ونتيجة لذلك لم يوجد في السابق شعب ميدي ولا ميديا، ولا يوجد اليوم⁽¹⁾.

إن ملوك آشور العظام، مثل شلمانصر الثالث (858 - 824 ق.م)، وتيغلات بيلاسر الثالث (747 - 728 ق.م)، وشاروكين

¹ - حينما تسيطر الذكريات الإمبراطورية على الكاتب يخرج عن إطار الموضوعية، ويعمل جاهداً للإطاحة بكل المعطيات والوثائق التاريخية، ورفض كل ما اتفق عليه الباحثون المحققون في الشرق والغرب، قديماً وحديثاً. إن الخلفية التاريخية التي ينطلق منها الكاتب هي الخلاف القائم بين الكرد والأرمن حول مناطق شاسعة في كردستان الشمالية (شرقي تركيا)، فسكان هذه المناطق كرد، لكن الأرمن يقولون بأنها كانت أرمنية، وكانت ضمن الأراضي التي قامت عليها الإمبراطورية الأرمنية سابقاً، وقد ناقشنا سابقاً وجه الخطأ في مثل هذه المطالب الإمبراطورية، وكيفية البت في مثل هذه الخلافات التاريخية.

لكن الغريب أن الكاتب يرمي إلى الإطاحة بجزء هام من التاريخ القومي الكردي، نقصد التشكيك في وجود (الميد)، وهم من أبرز أجداد الشعب الكردي، رافضاً المعلومات التاريخية التي ذكرها المؤرخ الإغريقي هيرودوت، وغيره من المؤرخين. وإذا كان المقصود باسم (ماد) هو منطقة جغرافية، وليس اسم شعب، يبقى السؤال الآتي: ما اسم الشعب الذي سكن المنطقة التي عُرفت تاريخياً باسم (ميديا)؟ ومن هو الشعب الذي انطلق من تلك المنطقة (ميديا) للوقوف في وجه الإمبراطورية الآشورية، وتحالف مع البابليين لإسقاط تلك الإمبراطورية؟ هذا ما لا يحاول الكاتب الإجابة عنه. وما لا يشك فيه كل قارئ ومنصف للتاريخ أن سكان تلك المنطقة هم (الميديون) أجداد الكرد، وليس الفرس ولا الأرمن ولا الآذريون - المترجم.

الثاني (722 - 705 ق.م) الذي غزا (مادا) مرات عديدة، يذكرون أسماء أمكنة كثيرة تقع اليوم في الأقاليم التي سبق ذكرها، وصحيح أنهم سجّلوا قهر (مادا) وفرض الجزية عليها، لكنهم ما كانوا يدرون أن أسماء الأماكن التي ذكروها كانت مادا (الأرض) الوحيدة التي يقومون بالعمليات فيها.

إن القبائل التي سمّيت غالباً أوّمان - ماندا Omman- Manda هي مرادف آخر لاسم (مادا)، وهي التي ساعدت البابليين على الإطاحة بالآشوريين سنة (606 ق.م)، وكانت قبائل من وسط بلاد فارس، ولا علاقة لهؤلاء بالفرس الذين أشارت إليهم الكلاسيكيات الإغريقية، هذا في حين نجد الملك الآشوري آشور بانبيعل (668 - 624 ق.م) الذي كان يحارب أخاه شاما شوموكين ملك بابل، يذكر الكوتيين بين شعوب أخرى كانت حليفة لهذا الأخير.

10- المرزبانيات (الولايات) الفارسية:

في قائمة الولايات الفارسية يجمع هيرودوت، من غير تمييز، أرمينيا وشعوباً عديدة حتى البحر الأوكسيني (بحر قزوين) Euxsin Sea، مع باكتيس pactyice التي هي في الحقيقة أرض بابخي Babkhi المشار إليها في الكتابات المسمارية، والتي هي مقاطعة بوتان اليوم، ومن بابخي (بوتان) نشأ اتحاد القبائل الكردية المعروفة بـ (هفتان بُخت)، و (چار بُختي)، والاسم الجغرافي الغامض (بادينان). إن هذه القبائل سكنت أصلاً في المنطقة الواقعة بين نهري الزاب وشرقي دجلة (بوتان - سو)، حيث لا تزال تعيش تحت أسماء قبلية مختلفة. وقد تبين لنا فيما سبق أنه عندما ظهر

الأتراك في النصف الأول من القرن السادس عشر فإن هذه القبائل اضطرت للهجرة على طول قمم جبال طوروس إلى أرمينيا وسوريا.

11- الأبطال:

ذكر **داريوس**⁽¹⁾ في نقوشه الصخرية على صخرة من سماهم (الأبطال) **Sagrtians** أو **Asagarta**، وغالباً ما تشير الكتابات المسمارية الأرمينية والأورارتية القديمة إلى هؤلاء على أنهم حلفاء للملك أورارتو. ووصف الكتاب الأرمين الكلاسيكيون الأشكال المختلفة للوهق⁽²⁾ في الحروب مع القبائل على امتداد منطقة القوقاز، ومن غير الصحيح القول بأن ساغرتيان- شكافي كانوا يتكلمون الفارسية، إنهم اليوم، كما كانوا في العهود السابقة، يتكلمون اللهجة الكرمانجية التي من المحتمل أن تكون اللغة القديمة للكوتيين، والتي هي أقدم بألفي عام من اللغة الفارسية.

12- زعماء قبليون في البلاط الأرميني:

ثمة على الأقل خمسة من الزعماء (مثل أمير آكي **Ake**، وقبيلة يزيدي هاجانان في هكاري، وأمير أشاخمار **Ashakhmar** القبيلة الإيزدية المعروفة في العصور الوسطى) كانت لهم عروشهم وحاشيتهم في البلاط الملكي الأرميني، وكانوا على مساواة تامة تقريباً مع الأمراء الإقطاعيين النبلاء، هذا إضافة إلى أن الأسماء العرقية مثل كوردوخ، واسمي **Mar**، وميديس **Medes** اللذين يذكرهما الأرمين القدامى، تؤكد وجود تعقيدات عرقية وجغرافية كبيرة لا يمكن معالجتها في هذا الكتاب بشكل مُرض.

¹ - المقصود هو الملك الأخميني دار الأول- المترجم.

² - الوهق جبل خاص باقتناص الخيل- المترجم.

ملاحق الفصل الثالث

1 - الدرہ بگات الکرد:

هم: شرف بگ في بدليس، ومالك خليل وريث سفيرت
Sghert⁽¹⁾ وحصن كيفا⁽²⁾ في دجلة الأوسط، وهو الذي طرد الحاميات

¹ - لعل المقصود: سيرت - المترجم.

² - المقصود: حَسَنَكَيْف - المترجم.

الفارسية من قلاعهم، ومحمد بگ في ساسون، وسلالة بدرخان العظيمة في جزيرة ابن عمر، والأمراء المتوارثون في أربيل وكركوك والسليمانية، ومن ضمنهم سلالة بابان الذين أسسوا إلى حد ما مملكة شَهْرَزُور القديمة، و بگ دياربكر الكردي، وجمشيد بگ مجداسي، وأرميني مرتد⁽¹⁾ في پالو.

2 – الحكمداريات:

في الأصل الحكمداريات التسع التي يحكمها الزعماء القبليون كانت حكمداريات أربيل، وكركوك، والسليمانية، وحصن كيفا، وجزيرة ابن عمر، وهكاري، وساسون، والعمادية، وبدليس. ولكن كانت مدينة بغداد وعدد من المقاطعات الكردية تنتقل، خلال القرنين (1516 – 1730 م)، بين أيدي الإمبراطويتين الفارسية والعثمانية، وكانت الاتفاقية الأصلية تُنسى ولا يُعمل بها. أما الاتحادات المتبقية للمجموعات الإيزدية في سنجار، والمهرانيون والمல்லيون⁽²⁾ في دياربكر، والنزيبون، وأرغني-مادان، وقبائل زازا في درسيم، فكانت قد مُنحت لقب بگوات سنجق، مع حق الحكم الذاتي كالسابق، وسمّيت: الحكومات الكردية.

3 – الحكم الذاتي في ظل السلطان محمد الفاتح:

¹ – لعل المقصود بأنه أرميني اعتنق الإسلام – المترجم.

² – مر في الفصل السادس أن الكاتب عدّ قبيل (مهران) و(مللي) اسمين لقبيلة واحدة، وعدّهما هنا قبيلتين مختلفتين، فهل كانت (مللي) فرعاً من مهراي قديماً، ثم استقلت باسم خاص لها؟ – المترجم.

بعد فتح القسطنطينية مباشرة سنة (1453 م) وافق السلطان العثماني محمد الفاتح على منح صلاحيات كبيرة في الحكم الذاتي للإغريق والأرمن على الصعيدين الديني والمدني، ومنح بطارقة هذه الأمم حق إصدار حكم الموت على المذنبين من شعوبهم.

4 - اشتقاق كلمة (عجم):

يبدو لي أن اللفظة العرقية (عجم) مشتقة من الاسم الشخصي أحميني Akhmanish أسطورة الجد الحقيقي للسلالة الأحمينية الفارسية، ويقول داريوس العظيم (521 - 485 م) في نقش بهيستون إن أجداده الثمانية كانوا ينحدرون من عرق ملكي، وأولهم وأعظمهم هو أحماني⁽¹⁾.

¹ - قد يكون هذا التوجيه في تأصيل حقيقة كلمة (عجم) صائباً. والذي أراه أن اسم (عجم) دخل التاريخ مع الفتوحات الإسلامية، وبالعودة إلى التراث العربي قبل الإسلام، شعراً ونثراً، نجد أن كلمة (أعجم) تعني العاجز عن التعبير بفصاحة، وكانت هذه الصفة تُطلق على الحيوانات فسميت (عجماء). وقد توهم العرب القدماء أن لغتهم وحدها هي القادرة على الإفصاح والتعبير، وانطلاقاً من هذا التوهم صنفوا الشعوب في فئتين: العرب، والعجم وهم سائر الشعوب؛ وهذا ما يؤكده القول المأثور عن النبي محمد في خطبة حجّة الوداع، حين قال: " لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى". وبسبب الجوار المباشر بين العرب والفرس، وما نجم عن ذلك الجوار من صراعات، ولا سيما في عصر الفتوحات الإسلامية، أصبح اسم (عجم) في التراث العربي خاصاً بالفرس، وشاعت هذه التسمية من ثم على ذلك الأساس - المترجم.

5 - بيانات أوربية لبلاد فارس الغربية وتركيا في نهاية القرن

(18) وبداية القرن (19):

أسماء الأماكن التاريخية والأنساب الأسرية كانت تتغير في الغالب بمرور الزمن، نظراً لزوالها من الذاكرة، وأحياناً لأن الكتاب الترك في إستانبول كانوا مهملين وغير مباليين بتسجيلها بدقة. وخلال الحروب النابوليونية على وجه خاص تجوّل كثير من البعثات البريطانية والروسية والفرنسية في شرقي تركيا وفي فارس، أملاً في كسب حلفاء بين شعوب تلك المنطقة، وكتبت تلك البعثات خواطر ممتعة من النواحي الجغرافية بالنسبة لشرقي تركيا، وأررفت معلوماتها بمصادر تركية حصلنا على صورة موثقة منها تعود إلى أعوام (1750 - 1830 م).

6 - باشاوية بغداد:

امتدت هذه الباشاوية من الخليج الفارسي إلى المنحدرات الجنوبية لطوروس الأرمنية. والباشاوات النشطاء من أصل كُولامان kolaman كانوا يسيطون نفوذهم حتى أرمينيا، للحصول على الضرائب والجنود على الأقل، وكانت حكومة كُولامان والجيش في بغداد مؤلفة من زعماء عرب وشركس وجورجيين قوقاز، وقد احتشدوا في الجنوب طمعاً في الشراء.

7 - استقلال أشراف بابان:

في الغالب كان الزعماء الأشراف لقبيلة بابان، ومركزهم مدينة (سليمانية)، يحكمون على نحو مستقل، وفي سنة (1806 م) سحق عبد الرحمن باشا بابان الأفواج التركية، وبعد صراع غير متكافئ دام عامين،

ونتيجة للخيانة، استسلم. وفي سنة (1812 م) بسط ابنه أحمد باشا بابان
نفوذه إلى تخوم بغداد.

ملاحق الفصل الرابع

1- الحليفان الهامان لبدرخان بك:

أ - محمود خان: أمير (آغا) Baron الكرد والأرمن كما كان يسمّى محلياً، إنه كان يحكم مُوك والمقاطعات الممتدة بين هكّاري والشواطئ الجنوبية لبحيرة وان، وهو الابن الأكبر لعائلة عفدال خان الكبيرة، ذات العقيدة الإيزدية، والتي نشأت في هكّاري، وهي فرع ينتسب إلى عائلة يزدين شير Yezdin sher. وكان أبناء عائلة عفدال حكاماً لمدينة وان بعد غزو تيمورلنك.

ولم ينفذ محمود خان أية طموحات سياسية، ما عدا اتحاده مع بدرخان بك، وحاول جاهداً ألا يسمح بأي نفوذ عثماني في شؤون إقليمه، وقد عمّ الأمن والعدل البلاد تحت نفوذه، وذكر ضابط بريطاني أن محمود خان كان يُعتبر شخصاً عظيماً، وقد سيطر لاحقاً على مقاطعة خافاسور Khavasur.

وبعد عامين وجد القنصل البريطاني أن محمود خان بسط سلطته العسكرية على كافة المقاطعات المذكورة أعلاه، مع اختلاف واحد، هو أن الخان عبّر بحكمه عن خضوعه الاسمي للقيادة

العثمانية في أرضروم، وشكا المواطنون من الضرائب الثقيلة، لكنهم كانوا مقتنعين بالسلطة القائمة وبالبوليس الذي نظّمه محمود خان، وكان من بين حلفائه القساوسة الأرمن، وزعماء شكاك، وهارتوشي، وقبائل أخرى، وأمراء أميرزاد في وان.

ب- نور الله بك صاحب هكاري، وهو ينحدر من عائلة حكمت هذه المنطقة الواقعة على الحدود الفارسية عدة قرون. وثمة قليل من المعلومات عنه، ما عدا أنه طماع وقاس، وأن تعاونه مع مشروع بدرخان بك كان مبهماً حتى النهاية.

2 - القبائل العشائرية:

كانت القبائل العشائرية الحيّالة⁽¹⁾ العاملة بإمرة القيادة التركية تتزوّد من أبناء القبائل المتوارثة في بوتان وجبل جودي، حيث ميدان الأمير بدرخان بك والحركة الوطنية الكردية.

أما العشائر القوية؛ وهي ميران، وتايان، وباتوان، ودودريس، وكچان، وشيرناخ، فقدمت حوالي أربعين فوجاً.

وأما قبائل حيدران، وجبران، وموغوس، فقدمت حوالي عشرين فوجاً. وكانت ثمة مجموعة ثالثة تزوّد بالجنود من إقليم دياربكر ومن الملليين، وبقليل من الجنود الإضافيين من ويران شهر ومن نهر الخابور.

¹ - الفرق الحميدية - المترجم.

فهرس المحتوى

	<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
5	تقديم.	
- 7	الفصل الأول: أحداث تاريخية لشعب عريق.	20
9	1- نستطيع أن نجابه العالم.	
	2- يجب أن يرحل الروم.	13
-21	الفصل الثاني: التشويه المدّس للشعب الكردي.	56
	1- الكرد: رحلة إلى البدايات.	23
	2- المملكة الكردية-الكوتية الأولى في بابل.	31
	3- الكاشيون يحتلون بابل.	35

	4- بلاد آشور و كردستان.	
		39
- 57	الفصل الثالث: الإسلام و كردستان.	
		74
	1- فتح كردستان.	
		59
	2- السلطان صلاح الدين والصليبيون	
		65
	3- غزوات المغول والتتار.	
		71
-75	الفصل الرابع: الفتح العثماني والقبائل الكردية.	
		94
	1- النفوذ العثماني في كردستان.	77
	2- كريم خان ملك الفرس.	85
	3- جغرافية كردستان في العصور الحديثة.	89
-95	الفصل الخامس: الثورات الكردية ضد الأتراك.	
		134
	1- الإرهاصات الأولى للمقاومة الكردية.	97

2- ثور أحمد باشا راوندوز.	103
3- ثورة الأمير بدرخان بك.	107
4- التاريخ يعيد نفسه.	119
5- ثورة الكرد في بلاد فارس.	123
6- نشوء الحركة الوطنية الكردية.	125
7- تنظيم الفرسان الكرد.	131
-135	الفصل السادس: الكرد وتركيا الحديثة.
	188
1- الثورة التركية والكرد.	137
2- القبائل الكردية والحرب العالمية الأولى.	145

3-	المطالب الكردية في مؤتمر السلام.	151
4-	الانتفاضة الثورية الكردية الأولى.	157
5-	الحرب الثورية الكردية الثانية.	163
6-	الحرب الكردية الثالثة.	165
7-	التوزيع السياسي للكرد.	169
8-	الكرد في سوريا ولبنان.	173
9-	المشكلة الكردية في تركيا.	175
10-	الكرد وراء القوقاز.	179
11-	علم العراق البشرية ومزاج الشعب الكردي.	181
12-	تطور الكرد وإمكانات النجاح.	185
-189	الملاحق.	212
1- ملاحق الفصل الثاني.	191	
2- ملاحق الفصل الثالث.	205	
3- ملاحق الفصل الرابع.	209	
213	فهرس المحتوى.	